سِلْسِلَةُ دِرَاسَاتِ الدِّينِ والحَيَاة ١

الدِّينُ فِي حَيَاتِنَا اليَوْمِيَّة

د . محمد محمود مرتضى

مَركز بَراثا للدِّراسَاتِ وَالبُحوث
Baratha Center for Studies and Research

الدِّيْنُ فِيْ حَيَاتِنَا اليَومِيَّةِ

د. محمّد محمود مرتضى

◆ رقم الطبعة:
الأولى

◆ تاريخ الطبعة:
٢٠٢٥م - ١٤٤٦هـ

◆ مكان الطبعة:
بيروت - بغداد

الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

سلسلة دراسات الدين والحياة ١

الدين في حياتنا اليومية

د. محمد محمود مرتضى

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

سِلْسِلَةُ دِرَاسَاتِ الدِّينِ والحَيَاة

في ظِلّ تعقيدات العصر الحديث، حيثُ تتزايد التَّحديَّات اليوميَّة التي تواجه الإنسان، من ضغوطات معيشية متصاعدة وتسارع وتيرة الحياة وهموم ترتبط بالعمل والدراسة والعلاقات الاجتماعيَّة، يجدُ كثيرون صعوبةً في تحقيق التوازُن بين متطلبات الحياة الماديَّة واحتياجاتهم الرَّوحيَّة. في خضم هذه الانشغالات، قد يتراجع حضورُ الدّين في الحياة اليوميَّة، أو يُختزل في التركيز على البُعد الشكليّ وتحقيق الواجب والتكليف، دون أنّ ينعكس ذلك بعُمق على السلوك والمواقف. كما أنَّ التَّعامل السطحي مع الدّين، أو فصله عن واقع الحياة يجعل الإنسان عرضةً للتيه الروحي والفراغ القيَمِي، ممَّا يُضاعف من معاناته أمام أزمات العصر.

انطلاقًا من هذا الواقع، بَرزت الحاجةُ إلى رؤية متجدّدة تُعيد للدّين دوره الحقيقيّ كقوة دافعة للتوازن النفسي والاجتماعي، وكمصدر للقِيَم التي توجّه السلوك وتُلهم الإنسان في مواجهة صعوبات الحياة. ومن هذا الفهم، يُطلق مركز (براثا للدراسات والبحوث) (سلسلةُ دراسات الدّين والحياة)، لمعالجة هذه الإشكاليَّات وتقديم قراءة معاصرة للدّين تَتغلغَلُ في تفاصيل الحياة اليوميَّة.

تَهدفُ هذه السَلسلة إلى توضيح كيف أنَّ الدّين حين يُفهَم بعمق، يتحول إلى طاقة إيجَابيَّة تتداخل مع شؤون الحياة كافةً، من العمل والأُسرة إلى العلاقات الاجتماعيّة وإدارة الضغوط. إنَّها دعوةٌ لفَهم الدّين كمِنهج حياة متكامل، يمَنح الإنسان القُوة والمعنى وسط تحديات العصر، ويجعل من التَّديُّن تجربةً واعيةً تُسهم في بناء الذَّاتِ والمُجتمع.

مقدمة

حين نسمعُ كلمة "الدّين"، يتبادر إلى أذهان كثير من الناس صورةُ المسجدِ وركعات الصَّلاة وأصوات الأذان وأيَّام الصّيام والحج. لكن هل الدين في القرآن مجرّد طقوس تُؤَدَّى في أوقات محددة؟ أم أنَّه رؤية أعمق للحياة كلّها؟ هذا السؤال هو نقطة الانطلاق لهذا الكتاب، الذي يُحاول أن يعيدَ الدّين إلى مكانه الطَّبيعي في يوميَّات الإنسان، لا بوصفه حالةً طارئةً أو لحظة عابرة، بل باعتباره منهاجًا شاملاً ينساب في أدقّ التَّفاصيل، ويربط الرُّوح بالجسد، والإيمان بالعمل، والعبادة بالسلوك.

إنَّ القرآنَ الكريمَ يقدم الدّين بوصفه حياة، لا مجرد جزء من الحياة. حين يقول -تعالى-: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام: ١٦٢]، فإنَّه يربط بين الصلاة – كأبرز رمز للعبادة – وبين "المحيا" كلّه، ليُصبح كلُّ يوم يعيشه الإنسان ساحة تَعَبُّد واسعة، تتجلَّى فيها القِيم الإيمانيَّة في البيت والعمل والطريق والأسرة والعلاقات، وحتى في أُسلوب الحديث والتَّصرف.

هذا الكِتابُ لا يدَّعي تقديمَ إجابات نهائيَّةٍ، بل هو محاولة لتفكيك الفجوة بين الدّين كما يُقدّمه القرآن، والدّين كما يعيش في أذهان كثيرين. إنَّه محاولةٌ لإعادة اكتشاف الدّين كقوَّةِ بناءٍ يوميَّةٍ، تمنح الإنسان معنى في عمله ومسؤوليَّته وماله وصحته ووقته وفرحه وحزنه، بل حتى في ترفيهه واستراحته. وهو دعوة لئن يُصبح القرآنُ دليلاً عمليًّا يُنير كل خطوة، لا مجرّد نصّ يُتلى في المناسبات.

إنَّ الدين في حياتنا اليوميَّة ليس عبئًا ثقيلاً، ولا قيدًا يُعطّل الفرح أو يُقيّد الحركة، بل هو الروح التي تمنح كل لحظة معناها الأعمق. حين ينطق الإنسان بكلمة صادقة، أو يردُّ الأمانةَ، أو يتقن عمله، أو يعامل النَّاس بإحسان، فإنَّه يكونٌ في قلب التديّن الحقيقي. وحين يفصل الإنسان بين إيمانه وسلوكه، أو يجعل الدين محصورًا بين جدران المسجد، فإنَّه يحرم نفسه من أعظم هدايا الدين: أن تُصبح الحياةُ نفسُها عبادةً.

لهذا، يَتنقَّل هذا الكتاب بين محطات متعدّدة، تبدأ بالفرد المؤمن وعلاقته مع نفسه ومع الله، ثُمَّ تمتدُّ إلىٰ الأُسرة والعمل والمجتمع، حتى تصل إلى تفاصيل دقيقة مثل آداب الطريق وإدارة الوقت والرقابة الذاتيّة واستهلاك المال والترفيه، وغيرها. لأنَّه لا يوجد في القرآن شيءٌ اسمه "تفاصيل صغيرة"، بل كل لحظة، وكل فعل، وكل كلمة، مساحة يمكن أن تكون موصولةً بالله.

هذا الكِتابُ دعوة للعودة إلى القرآن، لا بوصفه نصًّا مُقدَّسًا يُحفظ فقط، بل بوصفه مشروعَ حياةٍ يُعاش. دعوة لإعادة اكتشاف الدين، لا كعبءٍ ثقافيّ موروثٍ، بل كقوَّةِ تحريرٍ وبناءٍ، تعيد للإنسان توازنه مع نفسه ومع مجتمعه ومع خالقه.

والله وَليُّ التَّوفيق.

محمد مرتضى

٢-آذار-٢٠٢٥م. الموافق ١ رمضان ١٤٤٦هـ

الفَصْلُ الأَوَّلُ:

الدّينُ فِي بِنَاءِ الفَرْدِ المُؤمِنِ..

"الحَيَاةُ الفَرْدِيَّةُ"

◆ المَبحَثُ الأَوَّلُ:
مَركَزِيَّةُ الدّينِ فِي حَيَاةِ الإِنسَان وَفقَ القُرآنِ الكَرِيمِ

ليس الدّين في القرآن الكريم مجرّد منظومةٍ من الطقوس والشعائر، بل هو منهاجٌ شاملٌ للحياة يربط الإنسان بخالقه، ويوجّه سلوكه في كل تفصيل من تفاصيل يومه. إنَّه الأساس الذي يمنح الإنسان المعنى والغاية، ويوحّد بين إيمانه الداخليّ وسلوكه الخارجيّ، مما يجعل من الدين قلب الحياة وروحها. حين يقول -تعالى-: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا**﴾[الروم: ٣٠]، فإنَّه يقدّم الدّين على أنَّه عودة للفطرة، واتساق مع الطبيعة الإنسانيَّة التي خُلق عليها الإنسان. تجعل الفطرةُ الدينَ جزءًا طبيعيًّا من الحياة اليوميَّة، بحيثُ يتجلى في التَّعامُلات، والعلاقات، وحتى في العادات الصغيرة التي يمارسها الإنسان.

إنَّ مركزيّة الدين في الحياة تبدأ من وعي الإنسان بهدف وجوده. حيثُ يُحدّد القرآن غاية الحياة بوضوح حين يقول: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[الذاريات: ٥٦]. غير أنَّ مفهوم العبادة هنا يتسع ليشمل كل فعلٍ يقوم به الإنسان بنيَّةٍ صالحةٍ، فالصلاة عبادة

والعمل عبادة والإحسان إلى النَّاس عبادة. فيعيد القرآن صياغة العلاقة بين الإنسان والحياة، بحيثُ تُصبح كل لحظة من يومه فرصة للعبادة، وكل فعل مساحةً لتجسيد القِيَم الإيمانيَّة.

لكنَّ هذه المركزيَّة لا تبقى مجرّد فكرة، بل تظهر في السلوك العملي الذي يبني به الإنسان حياته وعلاقاته. فحين يقول -تعالى-: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[الأنعام: ١٦٢]، فإنَّه يربط الإيمان بكل تفاصيل الحياة، من العبادة إلى العلاقات الاجتماعيَّة، ومن العمل إلى التعاملات التجاريَّة. هنا، يُصبح الدينُ ليس فقط ما نؤدّيه في المسجد، بل ما نمارسه في السوق، والطريق، ومكان العمل، وحتى في طريقة حديثنا وتعاملنا مع الآخرين.

ولأنَّ الدينَ في القرآن مرتبطٌ بالسلوك، فإنَّه يجعل القِيَم الأخلاقيَّة مركزاً للتديُّن الحقيقي. فالإيمان الصادق هو الذي يظهر في الأمانة والصدق والعدل والإحسان. يقول -تعالى-: ﴿**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ**﴾[البقرة: ١٧٧]. هنا، يُحرّر القرآن مفهومَ التَّدين من القشور والمظاهر، ويضعه في اختبار الحياة اليوميَّة: كيف تتعامل مع الآخرين؟ كيف تؤدّي عملك؟ كيف تتحدَّث؟ وكيف تحترم حقوقَ الآخرين؟

وهذا ما يجعل القِيَم العمليَّة مثل الصدق جزءًا جوهريًّا من التَّدين؛ حيثُ يقول -تعالى-: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ**

﴿الصَّادِقِينَ﴾[التوبة: ١١٩]. فالصدق ليس مجرّد فضيلةٍ فرديَّة، بل هو أساسٌ لبناء الثقةِ المجتمعيَّة؛ إذ تنهار العلاقات والمعاملات حين تغيب الصِدقيَّة من التَّعاملات. كذلك الأمانة، التي يضعها القرآن في صلبِ الإيمان بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾[النساء: ٥٨]، فالأمانة ليست فقط في حفظ المال، بل في حفظ العهود، والقيام بالمسؤوليّات، والوفاء بالحقوق.

ويمتدُّ مفهومُ التَّدين في الحياة ليشمل حتى السلوك العام في الطريق والمجال المشترك. فالقرآن يُعلّمنا أنَّ الالتزام بالنظام العام جزءٌ من التَّدين؛ لأنَّ فيه احترامًا لحقوق الآخرين وصيانة للسلامة العامة. إن الالتزام بقوانين السير، والحفاظ على النظام في الأماكن العامة، ليس مجرّد التزام مدنيّ، بل هو جزء من أخلاق المسلم؛ لأنَّ الله يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]. فمن يتجاوز النظام، أو يُسبب الأذى للآخرين بإهماله، فإنَّه يخالف روح البر والتعاون التي يدعو إليها الدّين.

حتّى إنَّ القرآن يجعل النظافة جزءًا من التديّن، حين يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وهنا لا تقتصر الطهارة على طهارة الجسد فقط، بل تشمل طهارة المكان والمجتمع. فرمي القمامة في الشارع، أو تلويث البيئة، ليس مجرّد فعل غير حضاريّ، بل هو مخالفة لقيم الطهارة التي جعلها الله جزءًا من حبّه لعباده.

ولا يتوقف القرآنُ عند السلوك الفرديّ، بل يمدّ مركزيَّةَ الدين إلى مفهوم المسؤوليَّة المُجتمعيَّة. فالإنسان في القرآن خليفة في الأرض، مكلَّف بإعمارها وصونها من الفساد. يقول -تعالى-: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ [هود: ٦١]. هذا الاستخلاف يجعل من الحفاظ على البيئة والموارد الطبيعية جزءًا من الالتزام الدينيّ، لأنَّ الإفساد في الأرض هو خيانة للأمانة التي وضعها الله في الإنسان: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾ [الأعراف: ٥٦]. لكن لماذا يَغيب أثرُ الدّين أحيانًا من حياة الناس رغم كثرة الممارسات الدينية؟

السبب هو فقدان الوحدة بين الإيمان والسلوك، وبين الشعائر والقيم. فالقرآن يرفض التديّن الذي ينحصر في الطقوس ولا يظهر في المعاملات، ولهذا يذمُّ الذين يفصلون بين الإيمان والعمل بقوله: ﴿**كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ [الصف: ٣].

إنَّ مركزيَّة الدِّين في الحياة ليست مجرّد دعوة إلى الالتزام الظاهري، بل هي دعوة إلى جعل الدين روحًا تسري في كل ما نفعله. أن نُصلي بإتقان، ونعمل بإتقان، ونحاور بإحسان، ونسير في الطريق بأدب، ونحافظ على البيئة بطهارة، ونتعامل مع الآخرين بخُلق. وعليه، يصبح كل فعل في حياتنا تعبيراً عن الإيمان، وكل لحظةٍ عبادة لله.

حين نحقّق هذا المعنى، يصبح الدين قوة إصلاحيَّة ليس فقط للفرد، بل للمجتمع بأكمله؛ لأنَّ المجتمعَ الذي تسوده قِيم الصدق والأمانة

والإحسان والعدل، هو مجتمع يعبرّ عن روح القرآن في حياته العمليَّة. ولهذا يأمرنا الله بجعل العدل قاعدةً في تعاملاتنا، بقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**﴾ [النحل: ٩٠]. فالعدل ليس شعارًا، بل هو اختبار يوميّ يظهر في مواقفنا مع الضعفاء، وفي التزامنا بالحقوق، وفي إنصافنا حتى لمن نختلف معهم.

وهكذا، يتضح أنَّ الدين في القرآن الكريم ليس مجرّد علاقة بين الإنسان وربّه، بل هو منهاج حياة ينعكس في السلوك وفي العلاقات وفي المسؤوليّة تجاه الأرض والمجتمع. إنَّه منظومة تجعل من الإيمان روحًا تسري في كل تفاصيل الحياة؛ بحيثُ يُصبح المؤمن مرآةً تعكس نور القِيَم الإلهيَّة في كل ما يفعل ويقول.

إنَّ مركزيَّة الدين في حياة الإنسان وفق القرآن الكريم هي جوهر التجربة الإيمانيَّة الحقيقيَّة. إنَّها تجعل من كلّ عمل يوميّ، مهما كان بسيطًا، جزءًا من رحلة الإنسان نحو الله. فالتديّن لا يكون في المسجد فقط، بل في العمل والطريق والعلاقة مع الناس، وحتى في طريقة تعاملنا مع الطبيعة. وإذا أردنا أن نُعيد الدين إلى قلب حياتنا، فعلينا أن نبدأ من هذه الحقيقة: أنَّ كل لحظة في حياتنا يمكن أن تكون عبادة، إذا كانت انعكاسًا لقِيم القرآن. بهذا، يصبح الدين قوّة بناء وإصلاح ونهضة، ويُصبح الإنسان منارةً تعكس نور الإيمان في كل جانب من جوانب حياته.

◆ المَبحَثُ الثَّاني:

الصّدقُ والأَمَانَةُ فِي الحَياةِ اليَوميَّة.. القِيَمُ الجَوهرِيَّةُ فِي ضَوءِ القُرآنِ الكَرِيمِ

يشغل الصدق والأمانة في القرآن الكريم مكانةً مركزيَّةً؛ لأنَّهما أساس الثّقة التي يقوم عليها المُجتمع، وجوهر الإيمان الذي يعكس صدقَ الإنسان مع نفسه ومع الله ومع الآخرين. يقول -تعالى-: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: ١١٩].

تأمّل كيف يجعل القرآن الصدق مرادفًا للتقوى، وكأنَّ التَّقوى لا تكتمل إلَّا إذا كانت مصحوبةً بالصدق. فالصدق في الرؤية القرآنيَّة ليس مجرّد فضيلة أخلاقيَّة، بل هو مرآة للقلب؛ لأنَّه يعكس صفاء النيَّة ونقاء السريرة. ولهذا، كانَ النبيُّ محمد ﷺ يُلقّب قبل بعثته بالصادق الأمين، مما يدلّ على أنَّ الأمانة والصدق هما أساس الشخصيَّة الإيمانيَّة حتى قبل العبادات والشعائر.

ولكن، لماذا يُشكّل الصدقُ والأمانةُ تحدّيًا كبيرًا في الحياة اليوميَّة؟

لأنَّهما يظهران في المواقف التي يكون فيها الإنسان قادرًا على الخِداع أو الغِش دون أن يُكشف. حين تبيع سلعةً فيها عيب، وتدرك أنَّ المُشتري لن يُلاحظ، هنا يُختبرَ صدقُك. حين تجد محفظةً في الطريق ولا أحد يراك، هنا تُختبر أمانتك. ولهذا، يجعل القرآن من الأمانة امتحانًا إيمانيًّا

كبيراً، حتى أنَّه يقول: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا**﴾ [الأحزاب: ٧٢].

إنَّها مسؤوليَّة ثقيلة؛ لأنَّ الأمانةَ ليست فقط في الأموال، بل في الكلمة، وفي المسؤوليّة وفي العهود.

حين يتجلّى الصدقُ في العلاقات اليوميَّة: كم مرّة نقول إنَّنا سنتصل بأحد ولا نفعل؟ كم مرّة نتعهّد بمساعدة زميل ثمّ نتجاهل وعدنا؟ هذه التَّفاصيل الصغيرة هي التي تصنع الصدق أو تهدمه. لهذا، يُحذّرنا القرآن من الكَذب حتى في الأمور التي قد تبدو تافهةً؛ لأنَّ الكذبَ يبدأ صغيراً ثم يُصبح عادةً تهدم الثّقة. يقول -تعالى-: ﴿**وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**﴾ [الحج: ٣٠]. فالصدق ليس فقط في المُعاملات الكُبرى، بل هو أسلوب حياةٍ يبدأ من صدق الكلمة ويمتدّ إلى صدق المشاعر وصدق المواقف.

أَوَّلًا: الأَمانةُ في العَملِ والمِهنةِ:

هل تقتصر الأمانة على ردّ الأمانات الماليَّة؟ يجعل القرآن الأمانة تشمل كلّ مسؤوليّة يتولّاها الإنسان. حين تعمل في وظيفة، فأمانتك ليست فقط في عدم سَرقة المال، بل في أداء العمل بإتقان، وأن يكون من يُولَّى مسؤوليّة معيّنة ومنصب مُعينّ أهلاً له. عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في قول الله -عز وجل-: ﴿**إنَّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾ قال: «هم الأئمة يؤدي الامام إلى الامام من بعده، ولا يخص

بها غيره ولا يزويها عنه»[١]. فالأمانة هنا ليست صُندوقًا من المال، بل هي المنصب نفسه، والمسؤوليَّة نفسها.

ثَانِيًا: الأَمانَةُ مَسؤُولِيَّةٌ مُجتَمعِيَّةٌ:

في المجتمع، تَتجلّى الأمانة في احترام القوانين التي تحفظ حقوق الجميع. حين يحترم الناس الطوابير، حين يلتزمون بمواعيدهم، حين يعيدون ما يجدونه من أشياء مفقودة، هذه كلّها أشكال من الأمانة التي تحفظ نسيج المجتمع. لهذا، فإنَّ المجتمعَ الذي تنهار فيه الأمانة يتحوَّل إلى مجتمعٍ قائمٍ على الشَّك وسوء الظنّ؛ لأنَّ النَّاس يفقدون الثّقة في بعضهم بعضاً.

لماذا يتساهل الناس في الكَذب والغِش؟

ربمَّا لأنَّهم لا يرون أثرًا فوريًّا له على حياتهم، أو لأنَّهم يظنُّون أنَّه كَذب «أبيض» لا يُؤذي أحدًا. لكنّ القرآن يكشف أنَّ أثر الكَذب والغش يتجاوز اللحظة؛ لأنَّه يهدم الثّقة، ويزرع الرياء، ويُفقد الإنسان صدقه مع نفسه، ممَّا يعني أنَّ الكذب ليس مجرّد خطأ، بل هو باب ينفتح على سلسلة من الأخطاء التي تُدمّر الرُّوح.

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج١، ص٢٧٧.

كيف نعيد بناء ثقافة الصدق والأمانة؟

ابدأ بنفسِك: كُن صادقًا في وعودك وأمينًا في عملك، حتى لو كان الآخرون غير ذلك. وعلّم أبناءك بالقُدوة: اجعلهم يرون الصِدق في سلوكك، لا في نصائحك فقط. وواجه نفسك: اعترف إذا أَخطأت، واعتذر إذا وعدت ولم تفِ. وكن صريحًا بلا قسوةٍ: الصدقُ لا يعني التَّجريحَ، بل يعني أن تقولَ الحقَّ بلُطف ورحمة.

الصدق والأمانة هما تاج الإيمان وروحه. إنَّهما ليسا مجرّد فضيلتين، بل هُما الأساس الذي يقوم عليه المجتمع، وهما الجسر الذي يبني الثقة بين الناس. وإذا أردنا أن نجعل الدين حاضرًا في حياتنا اليوميَّة، فعلينا أن نجعلهما أسلوب حياتنا، في البيت والعمل والطريق وكل مكان. لأنَّ الصدق هو أوثق طريق إلى قلب الإنسان، والأمانة هي أكبر دليل على الإيمان الصادق. وبهما، يُصبح الدين نورًا يضيء حياتنا، لا شعارًا يُقال باللسان.

◆ المَبحَثُ الثَّالثُ:
الإِحسَانُ فِي ضَوءِ القُرآنِ الكَرِيمِ.. رُوح الحَيَاةِ اليَّوميَّةِ

الإحسان في القرآن الكريم هو ذروة الإيمان وأرقى مراتبه. إنَّه ليس مجرّد فعل خير، بل هو أسلوب حياةٍ يجعل الإنسانَ يعيش في حضور

دائمٍ مع الله، ويرى في كل موقف فرصةً للعطاء والتَّفوُّق في العمل والسلوك. يقول -تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[النحل: ٩٠].

تأمَّل كيف يأتي الإحسان بعد العدل مباشرةً؛ لأنَّ العدل هو إعطاء الناس حقوقهم، أمَّا الإحسان فهو أن تعطيهم أكثر ممَّا يستحقون، من عطاء القلب لا من إلزام القانون. ولهذا، فإنَّ الإحسان هو علامة الإنسان الذي لا يكتفي بأداء الواجب، بل يتجاوزه إلى صناعة الجمال في كل ما يفعل. لكن، ماذا يعني الإحسان في حياتنا اليوميَّة؟ يجعل القرآن الإحسان مِنهجًا شاملاً يشمل التعاملَ مع الله، ومع الناس، ومع النَّفس، وحتى مع الطبيعة.

أَوَّلًا: الإِحسَانُ مَع الله.. عِبَادةٌ تَنبَعُ مِن الحُبِّ

إن الإحسان مع الله ليس في كثرة العبادات فقط، بل هو أن تعبدَ الله كأنَّك تراه، كما جاء عن أبي عبد الله عليه السلام: «يا إسحاق خَفِ الله كأنَّك تراه وإن كنت لا تراه فإنَّه يراك، فإن كنت ترى أنَّه لا يراك فقد كَفَرت، وإن كنت تعلم أنَّه يراك ثم برزت له بالمعصيَّة، فقد جعلته من أهون الناظرين عليك»[١]. هذا الشعور يجعل الصلاة ليست واجبًا ثقيلاً، بل

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص٦٨.

لقاءً مشحونًا بالحب والشوق. الصائم لا يصوم فقط عن الطَّعام، بل عن الغِلّ والكَذب. كل عمل يؤديه الإنسان إذا نوى به وجه الله، صار إحسانًا حتى لو كان بسيطًا.

ثَانِيًا: الإِحسَانُ مَعَ النَّاسِ.. عَطَاْءٌ يَتجَاوزُ العَدلَ

حين يأمرنا القرآن بالإحسان إلى الناس، لا يحدّد الإحسان بالأقارب أو الأصدقاء فقط، بل يوسّعه ليشمل كل من نتعامل معهم، حتى من أساء إلينا. يقول -تعالى-: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤].

الإحسان هنا هو أن تُقابل الإساءة بالعفو، والغضب بالحلم، والجفاء باللين. ولكنَّه أيضًا يتجلى في بساطة الحياة اليوميَّة:

في كلمة طيّبة للعامل الذي يخدمك. وفي مساعدة جارٍ دون أن ينتظر منك شيئًا. وفي التَّبسّم في وجه من تراه، فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من أخذ من وجه أخيه المؤمن قذاه كُتب له عشر حسنات، ومن تبسَّم في وجه أخيه كانت له حسنة»[1].

ثَالِثًا: الإِحسَانُ فِي العَملِ.. الإِتقَانُ الذِي يَعكِسُ الإِيمَانَ

الإحسان في العمل هو ألَّا تكتفي بأداء المطلوب، بل تؤدّيه بإتقان

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص٢٠٦.

وكأنَّه عبادة. حين قال النَّبي ﷺ: «إذا عمل أحدكم عملا فليتقن»[١]، جعل الإتقانَ جزءًا من الحُب الإلهي. هل نُتقن أعمالنا حين لا يرانا المدير؟ هل نبذل جهدًا إضافيًّا في وظيفتنا حتى لو لم نحصل على ترقية؟ هذا هو الإحسان.

رَابِعًا: الإِحسَانُ مَع النَّفسِ.. اِحترَامُ الذَّاتِ بِالصّدقِ والتَّوازُن

الإحسان مع النَّفس هو أن تمنحها ما تستحقَّه من احترام، فلا تظلمها بالذنوب، ولا تُهلكها بالإفراط في العمل دون راحة. يقول -تعالى-: ﴿**وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾ [القصص: ٧٧].

فالعمل عبادة، لكنَّ الراحةَ عبادةٌ أيضًا، والرّياضة عبادة إذا نويت بها الحفاظ على أمانة الجسد التي أعطاك الله إياها.

خَامسًا: الإحسَانُ إلى الطَّبيعة.. شُكرٌ عَمَليٌّ لِنعم الله

هل يمُكن أن يكونَ الإحسان إلَى الأشجار والأرض جزءًا من الدّين؟ القرآن يجعل الحفاظَ على البيئة من الإحسان، لأنَّ الأرض هي أمانة الله لنا. يقول -تعالى-: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾[الأعراف: ٥٦]. غرس شجرة هو إحسان، حتى لو لم تأكل من ثمرها. الحفاظ

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٣، ص٢٦٣.

على الماء وعدم تلويثه إحسان. إطفاء الأنوار الزائدة إحسان؛ لأنَّ الإسلامَ هو دين يزرع الجمال في الأرض، لا يفسدها.

سَادسًا: الإِحسَانُ في حَياتِنَا اليَوم:

رُبَّمَا لأنَّنا اعتدنا على أَداء الواجبات ببرود، وفصلنا العبادات عن المعاملات. نصلّي ونصوم، لكن نتحدَّث بجفاءٍ مع النَّاس. نؤدّي وظائفنا، لكن دون روح الإتقان؛ السبب هو أنَّنا نظرنا إلى الإحسان كشيء زائد، بينما هو قلب الإيمان وروحه.

لكن، كيف نُعيد الإحسانَ إلى حياتنا؟

١. غَيِّر نِيَّتك: كلُّ عملٍ تنويه لله، حتى لو كان بسيطًا، يُصبح عبادة.

٢. ابحث عن الجمال في التَّفاصيل: اجعل حديثَك لطيفًا، وابتسامتك صادقة، وأعمالك مُتقنة.

٣. عِش بشعور المُراقبة الإلهيَّة: عامل كل موقف وكأنَّ الله ينظر إلى قلبك قبل فعلك.

٤. ابدأ من الأَشياء الصَّغيرة: ساعد من حولك، وازرع زهرةً، نظّف مكانَك، وسامح من أساء إليك.

الإحسان هو الروح التي تجعل الدّينَ حيًّا في الحياةِ اليوميَّة. إنَّه يجعل من كل لحظةٍ عبادة، ومن كل عمل قربانًا إلى الله. إذا ملأنا

حياتَنا بالإحسان، ستتحوَّل بيوتنا إلى واحاتٍ من الحُب، وأعمالنا إلى عبادات صامتة، ومجتمعاتنا إلى أمكنةٍ يسكنها العدل والرحمة؛ لأنَّ الإحسان ليس شيئًا نفعله، بل هو شيءٌ نُصبحه. وبه نرتقي من أن نكون صالحين فقط إلى أن نكون مُصلِحين، ومن أن نكون عادلين فقط إلى أن نكون محسنين، وهنا يبلغ الإيمان قمته، والحياة معناها.

◆ المَبحَثُ الرَّابعُ:
الصَّبرُ فِي ضَوءِ القُرآنِ الكَرِيمِ.. فَنُّ الصُّمُودِ فِي رِحلَةِ الحَيَاةِ

الصَّبرُ في القرآن الكريم ليس مجرّد تحمُّل للمحن، بل هو طاقة روحيَّة تمنح الإنسانَ الثَّبات وسط عواصف الحياةِ، وهو المِفتاح الذي يفتح أبوابَ الفرج بعد الشدّة. إنَّه رفيق الطريق الذي يجعل الصعوبات جزءًا من الرحلة، لا نهايتها. يقول -تعالى-: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة: ١٥٣].

لاحظ كيف جعل الله الصبر قبل الصَّلاة، وكأنَّه يقول لنا إنَّ الصَّبر هو الجسر الذي نَعبرُ عليه إلى الله في أوقات الشدّة. الصلاة تمنحك الصّلة، لكنَّ الصَّبر يمنحك القدرة على الثَّبات حتى تنال الإجابة.

أَوَّلًا: الصَّبرُ في القُرآن لَيس استِسلَامًا؛ بَل قُوةٌ داخِليَّةٌ:

في التَّصوُّر القرآني، الصبر ليس خضوعًا للواقع، بل هو مقاومة، وصمود، واستمرار في السَّير حتى في أحلك الظُروف. تأمَّل قِصة النَّبي أيوب ﷵ، الذي أصبح أيقونةً للصَّبر. لم يكن صبره صمتًا سلبيًّا، بل كان إصرارًا على التَّمسك بالأمل رغم الألم. وحين جاءه الفرج، لم يكن فقط شفاءً، بل كان مكافأةً لصبره وثباته: ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[الأنبياء: ٨٣].

ثَانِيًا: أَشكَالُ الصَّبرِ فِي حَياتِنَا اليَومِيَّةِ:

يتجلى الصَّبر الذي يَدعو إليه القرآنُ في كل جوانب الحياة؛ لأنَّه ليس حالةً واحدةً، بل ألوان متعددة تظهر في مواقف مختلفة:

١. الصبر على الطَّاعة: كالصَّلاة في البرد أو الصيام في الحر أو الالتزام بالأمانة رغم الإغراءات. يقول -تعالى-: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**﴾ [طه: ١٣٢].

٢. الصَّبرُ عن المعصية: كغضِّ البصر أو كف اللسان عن الغيبة أو مقاومة الإغراءات. يقول النبي ﷺ: «أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه»[١].

---

١ - محمد بن علي القمي: الأمالي، ص٥٥٣.

٣. الصَّبر على البلاء: كفُقدان الأحبَّة أو المرض أو الفشل. وهنا يوصي القرآن بموقف خاص: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

ثالثًا: لِماذَا يَصعُبُ علَينَا الصَّبرُ؟

لأَنَّنا نعَيش في عصر السُّرعة، حيثُ اعتدنا على الحلول الفوريَّة والنتائج السريعة. الهاتف يصلنا بكل شيء في لحظة، فلماذا ننتظر؟ ولكنَّ القرآنَ يعلّمنا أنَّ أجمل الأشياء تأتي بالصبر، وأنَّ بعضَ الثّمار تحتاج إلى سنوات لتنضج.

رَابِعًا: الصَّبرُ طَرِيقٌ إِلى النُّضجِ الرُّوحِيّ:

الصَّبر في القرآن ليس مجرّد وسيلة للتَّحمل، بل هو عملية نُضج تنحت شخصية الإنسان. لاحظ أنَّ كلَّ الأنبياء مرُّوا بمحن صعبة، لكنها هي التي صاغت عظمتهم. يقول -تعالى-: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا**﴾ [السجدة: ٢٤].

خَامسًا: كَيفَ نمُارِس الصَّبرَ فِي حَياتِنا اليَومِيَّةِ؟

١. غَيِّرْ زاويةَ رؤيتك: لا ترَ الصبرَ كعقوبة، بل كفرصة للنُضج.

٢. قَسّم الرحلةَ إلى خُطوات: الصَّبر الطَّويل يبدأ من صبر اللحظة.

٣. تذكَّر وعدَ الله: كل لحظة صبر هي استثمار في رصيد الفرج القادم.
٤. اشغل نفسك بعملٍ إيجابي أثناء انتظار الفرج: مثل التَّعلُّم، أو مساعدة الآخرين.

سَادسًا: الصَّبرُ والإحسَانُ وَجهَان لعُملَة وَاحدة:

في القرآن، كثيراً ما يأتي الصبر مقترنًا بالإحسان، لأنَّ الصَّبر هو الإحسان في مواجهة الألم. حين يقول تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٤]، فهو يدعونا إلى أن نصبر لا فقط لأنَّنا مضطرّون، بل لأنَّنا نريد أن نكون في دائرة حب الله.

سَابِعًا: الصَّبرُ والثّقَةُ في المُستَقبَلِ:

أجمل ما في الصَّبر أنَّه يحمل داخله بذرةَ الأمل. يُعلّمنا القرآن أنَّ الصَّبر ليس انتظارًا خامدًا، بل هو انتظارٌ واثقٌ بفرج الله، مثلما كانت نهاية يوسف عليه السلام بعد سنوات الصبر مُلكًا ورفِعةً.

الصَّبر في القرآن هو فنُّ إدارة الزَّمن بالأمل، وجَعْل الألم جزءًا من الرحلة لا نهايتها. إنَّه تدريبٌ رُوحي يجعل الإنسان أقوى من المِحن، وأكبر من العقبات. وإذا جعلناه أسلوبًا في حياتنا، فسنرى كيف تتحول المواقف الصعبة إلى دروسٍ عميقةٍ، وكيف تتحوَّل الانتظارات الطويلة

إلى محطات لبناء الذات. لأنَّ الصَّبرَ، كما يقول الإمام علي ﷺ: «لا يُعدم الصبور الظفر، وإن طال به الزمان»(١).

◆ المَبحَثُ الخَامِسُ:
الشُّكرُ والامتِنانُ.. عِبادَةُ القَلبِ في كُلّ لَحظَةٍ

ليس الشّكر في التَّصوُّر القرآني مجرّد كلمة تُقال، بل هو حالة قلبيَّة وسلوك عملي يُعبّر عن إدراك الإنسان لعطاءِ الله الذي لا ينقطع. إنَّه عبادة تتجاوز حدود اللسان لتنعكس في الفكر والسلوك والعمل. حين يقول -تعالى-: ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [إبراهيم: ٧]، فإنَّه يضع قانونًا كونيًّا يُنظّم العَلاقةَ بين الإنسان والنعمة: الشكر سبب لدوامها وزيادتها، والجحود طريق لزوالها.

لا ينفصل الشُّكر في القرآن عن الصبر، فهما وجهان لحالةٍ قلبيَّة واحدة: الصَّبر عند البلاء، والشكر عند العطاء. كلاهما يُعبّر عن يقين الإنسان بأنَّ كلَّ ما يأتي من الله خير. ولهذا، حين وصف القرآن المؤمنين الصَّادقين، جمع بينهم: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾ [إبراهيم: ٥].

---

١ - الشريف الرضي: نهج البلاغة، ج٤، ص٤٠.

أَوَّلًا: كَيفَ يكونُ الشُّكر عبادةً قلبيَّةً؟

يبدأ الشُّكر من إدراك النعمة، مهما كانت صغيرة، ووعي الإنسان بأنَّه لا يملك شيئًا بذاته، بل كل ما لديه هو منحة من الله. حين يستيقظ الإنسان في الصباح، فإنَّ أنفاسه الأولى هي نعمة. حين يأكل طعامه، فإنَّ لقمةً واحدةً تحمل خلفها سلسلة من الأفضال التي لا يراها. ولهذا قال النبي ﷺ: «من أصبح مُعافى في جسده آمِنا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنَّما حيزت له الدُّنيا؟ يا بن آدم، يكفيك من دنياك ما سدّ جوعتك، ووارى عورتك، وإن يكن بيت يكنّك فذاك، وإن تكن دابة تركبها فبخ بخ، وإلاَّ فالخبز، وما بعد ذلك حساب عليك أو عذاب»[1].

لكنَّ الشُّكر الحقيقيَّ لا يتوقف عند القلب أو اللسان، بل يتجلى في العمل. يقول -تعالى-: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

لاحظ أنَّ اللهَ جعل الشكر عملاً، وكأنَّ الشُّكر الصادقَ هو أن تجعلَ كلَّ ما أنعم الله به عليك أداة للخير. إذا أنعم عليك بالعلم، فشكر هذه النعمة أن تُعلّم النَّاس. إذا أنعم عليك بالمال، فشكرها أن تنفقه في سبيل الله. إذا أنعم عليك بالصحة، فشكرها أن تسخرها في خدمة الناس. لكن لماذا يغفل كثير من الناس عن الشُّكر؟ لأنَّ الإنسان بطبعه سريع النسيان للنعمة، بطيء في إدراك فضلها. يكشف القرآن لنا هذه

---

١ - محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص٤٢٨.

الحقيقة حين يقول: ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾[سبأ: ١٣].

قِلَّة الشَّاكرين ليست لأنَّ النّعم قليلة، بل لأنَّ القُلوب مشغولةٌ بما ينقصها أكثر مما تملكه. ولهذا، فإنَّ أوَّل خُطوة نحو الشُّكر هي أن يتعلّم الإنسان فنَّ رؤية النعمة، حتى في أصغر الأشياء.

الشُّكر في أوقات الرخاء أمر يسير، لكنَّ الشُّكرَ الأعظمَ هو حين يكون الإنسان في قلب المِحْنَة، ويظلّ قلبه متعلقًا بالله، يرى في البلاء حكمة، وفي المنع عطاءً خفيًّا. ولهذا، كان أيوب عليه السلام نَموذجًا للشَّاكر، لأنَّ شكره لم يتوقف حتى وهو في قِمّة الألم.

ثَانِيًا: هَل الشُّكرُ عِبادةٌ فرديَّةٌ فَقط؟

يجعل القرآنُ الشُّكر مسؤوليَّةً اجتماعيَّة. حين يأمر الإنسانَ أن يشكرَ والديه بعد الله، يقول -تعالى-: ﴿**أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ**﴾ [لقمان: ١٤]. يتجاوز الشُّكر هنا العلاقة مع الله إلى العلاقة مع من كان سببًا في وجودك. كما أنَّ الشُّكر في العلاقات الاجتماعية هو الأساس لبناء الثّقة والمحبَّة. فعن الإمام الرضا عليه السلام أنَّه قال: «من لم يشكر المُنعِمَ من المخلوقين لم يشكر الله عز وجل»[1]. فالشُّكر للنَّاس هو صورة من صور الشكر لله، لأنَّهم أدوات عطاء الله لك.

---

١ - محمد بن علي القمي: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص٢٧.

ثم يأتي القرآن ليكشف لنا أنَّ الشُّكر هو أعمق اختبار للإيمان، لأنه يعكس ثِقةَ الإنسان بأنَّ كل ما عنده هو من فضل الله. ولهذا، حين امتحن الله الشيطان، قال إبليس متحدّيًا: ﴿**وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾ [الأعراف: ١٧]. يعلم إبليس أنَّ الشُّكر هو أصدق تعبير عن الإيمان، لأنَّ الشَّاكر يرى في كل حال وجه الله، فلا تُزلزله المِحن، ولا يطغيه الرخاء.

إنّ الشكر هو طريق إلى السلام الداخلي أيضًا. فالإنسان الذي يعيش في حالة شكر لا يشعر بالنقص، لأنَّه يرى ما لديه أكثر مما ينقصه. يحرر الشكر القلب من الحسد، لأنَّه يعلّمه أنَّ كلَّ نعمة هي من الله، ولكل إنسان نصيبه الذي قسَمَه الله له بحكمة.

ثَالثًا: كَيف نَعيشُ الشُّكرَ في حَياتِنا اليَومِيَّةِ؟

يبدَأ الشُّكر من القلب، ثم يظهر في:

١. الكلمة الطَّيِّبة: أن تشكر من أسدى إليك معروفًا.

٢. العمل الصالح: أن تجعلَ من نعمة الوقت والمال والعلم أداة لخدمة الآخرين.

٣. الصبر في المحن: أن ترى وجهَ الخيرِ في كل اختبار.

٤. الرضا بما قسَمَه الله: أن تؤمن بأنَّ ما لديك هو الأنسب لك.

ثم يختم القرآن معادلةَ الشُّكر بوعد صريح: ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ**

لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]. لاحظ أنَّ الله جعل الزيادة وعدًا قطعيًّا، ولم يقل متى وكيف؛ لأنَّ الزيادة قد تكون في المال، أو في البركة، أو في السلام الداخلي.

إنَّ الشُّكر هو عبادة القلب المستمرّة، التي لا تحتاج إلى وقت مُعينّ أو مكان مُعينّ. يمُكنك أن تشكر الله في طريقك للعمل، وفي نظرتك لطفلك، وفي مساعدتك لجارك، وفي سجدة صادقة في جوف الليل. إنَّه ليس فعلاً، بل أُسلوب حياة يرى كل لحظة هديّةً من الله.

وفي النهاية، من عاش حياته شاكرًا، عاشها في نور من الطُمأنينة؛ لأنَّه يرى في كل صباح نعمة، وفي كل مساءٍ فضلاً، وفي كل امتحان فرصةً للنُّضج، وفي كل عطاء مساحةً للعطاء. إنّ الشكر هو عينٌ ترى الجمالَ حتى في الألم، وقلبٌ ينبض بالامتنان حتى في الشدة، وسلوكٌ يعكس الإيمان حتى في أدقّ تفاصيل الحياة.

◆ المَبحَثُ السَّادسُ:
التَّفَاؤُلُ والأَمَلُ.. رُؤيَةٌ قُرآنِيَّةٌ لِلحَيَاةِ الإِيجَابِيَّةِ

إنَّ التفاؤلَ والأملَ في التَّصوُّر القرآني ليسا مجرّد شعور عابر أو حالة نفسيَّة مؤقّتة، بل هما مَنْهج حياة ينبع من الإيمان العميق بالله وحكمته. إنَّهما الثَّمرة التي يجنيها القلب المؤمن حين يرى في كل مِحنة مِنْحة،

وفي كل ظُلمة فجرًا قريبًا. لا يعني التفاؤلُ في القرآن إنكار الألم أو تجاهُلَ الواقع، بل يعني الإيمانَ بأنَّ وراء كل شدّة فرجًا، وأنَّ مع كل عُسر يسرًا. يقول -تعالى-: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا● إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦]. لاحظ تكرار الجملة وكأنَّ اللهَ يُطمئن قلبَ المؤمن بأنَّ كلَّ عُسر يحمل في داخله يُسرين، لا يسرًا واحدًا.

أَولًا: التَّفَاؤُلُ في القُرآنِ الكَرِيم:

في القرآن، ليس التفاؤل حالةً سلبيَّةً تنتظر الفرجَ دون عملٍ، بل هو قوّة تحرّك الإنسان نحو التَّغيير، وتدفعه إلى العمل بثقة ويقين. حين ضاقت الأرض على النبي ﷺ وصاحبه في الغار، كان النَّبيُّ يقول بكل يقين: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. هذا هو التفاؤل القرآني في ذروته: أن ترى النُّور حتى وأنت في قلب الظَّلام، وأن تثقَ بالفرج حتى وأنت في قِمَّة الشّدة.

والتَّفاؤل في الرؤية القرآنيَّة يرتبط ارتباطًا وثيقًا بحسن الظَّن بالله. عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «أحسن الظَّن بالله فإنَّ الله عز وجل يقول: أنا عند ظن عبدي المؤمن بي، إن خيراً فخيراً وإن شرًّا فشرًّا»[1]، فإذا ظنَّ العبد بالله خيراً، وجد الخير، لأنَّ تفاؤله يصبح بوابة يستجلب بها

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص٧٢.

رحمات الله. ولهذا، حين وقع يعقوب ﵇ في قِمَّة الألم بفُقدان ابنيه، لم يفقد الأمل، بل قال: ﴿**عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا**﴾ [يوسف: ٨٣]. ثُمَّ تحقّقت ثقته، لأنَّ تفاؤلَه لم يكن تفاؤلًا ساذجًا، بل كان تفاؤلًا مؤسَّسًا على الثّقة في عدل الله ورحمته.

ثَانِيًا: لماذا يغيب التَّفاؤُلُ عن قلوبِ كَثيرٍ من النَّاسِ اليَوم؟

يرى النَّاسُ العالمَ بعدسة الخوف، ويركِّزون على الأزمات أكثر مما يرون الفرص. يعلمنا القرآن أنَّ التَّفاؤلَ يبدأ من الداخل، من طريقة تفكير الإنسان. حين يقول -تعالى-: ﴿**وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ [البقرة: ٢١٦]، فهو يدعونا إلى أن نثقَ بأنَّ وراء المِحَن حِكَّمًا لا نراها، وأنَّ الخيرَ قد يأتي من حيثُ لا نتوقع.

ثَالِثًا: التَّفاؤُل في مَجالَاتِ الحَيَاة:

فِي الحَياةِ الأُسريَّةِ، التَّفاؤلَ هو الذي يحفظ الحُبَّ في مواجهة الأزمات. فالزوجان اللذان يواجهان مشاكل الحياةِ بروح من الأمل والثقة يتغلّبان على كل الصعوبات، لأنَّهما يؤمنان بأنَّ الغد يحمل فرصة جديدة للتَّصالح والتَّفاهم. أمَّا حين يُسيطر التَّشاؤم، فإنَّ أيَّ خِلاف بسيط يتحوّل إلى جدار يعزل القلوب.

فِي العَمَلِ، إنَّ التفاؤل يصنع الإبداع. فالشخص المتفائل يرى في

كل تحدٍّ فرصةً للنُّمو، وحين يفشل، يرى في الفشل درسًا لا نهاية. ولهذا، كان الإصرار على العمل رغم الصعوبات جزءًا من الإيمان؛ إذ إنَّ التَّشاؤمَ واليأس مذمومان ومنهيٌّ عنهما في الروايات والأحاديث الشريفة، فعن أبي عبد الله (عليه السلام): «الطيرة (التشاؤم) على ما تجعلها، إن هونتها تهونت، وإن شددتها تشددت، وإن لم تجعلها شيئًا لم تكن شيئًا»[1]. هنا، التفاؤل - وهو عكس التشاؤم - ليس حُلماً بالمستقبل فقط، بل هو فعلٌ للحاضر، حتى لو بدا المستقبل غير مرئي.

رَابعًا: هل يَعنِي التَّفاؤلَ أن نَعيش في وَهم أو أن نَتجاهلَ الوَاقِعَ؟

أبدًا. إنَّ التفاؤل في القرآن هو أن ترى الواقعَ بعين الإيمان، لا بعين اليأس. حين يقول -تعالى-: ﴿**لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ**﴾ [الزمر: ٥٣]، فهو لا يقول لك أن تُنكر ذنوبك أو مشاكلك، بل يدعوك إلى أن ترى رحمة الله أكبر من أخطائك، وفرجه أقرب من يأسك.

ولهذا، فإنَّ أعظمَ أنواع التَّفاؤل هو التفاؤل في لحظة الخطيئةِ، حين تظنّ أنَّ العودةَ إلى الله مستحيلة، فيفتح لك القرآن باب الأمل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**﴾ [الزمر: ٥٣].

هذا هو التفاؤل الذي يبني الإنسان من الداخل؛ لأنَّه يجعله يثق أنَّ

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٨، ص١٩٧.

الفُرصةَ للإصلاح موجودة دائمًا، ما دام القلب حيًّا.

والتَّفاؤل، كما يُقدّمه القرآن، ليس مجرّد إحساس داخلي، بل هو حالة تتحوَّل إلى طاقةٍ للعمل والصَّبرِ والجِهاد. كان النبيُّ ﷺ يُحبُّ الفألَ الحسن، لكنَّه لم يكن يجلس منتظرًا المعجزات، بل كان يعمل ويجاهد، وكان يقينه بالله هو الذي يحمله على الاستمرار رغم كل العقبات.

في النّهاية، إنَّ التفاؤل هو أن ترى الغد بنورِ الله، وأنْ تحمل في قلبك يقينًا بأنَّ كلَّ ما كتبه الله لك هو خير، حتى لو لم تفهمه الآن. أنْ تعيشَ بروح الأمل وأنت تواجه الألم، وأن ترى في كل مشكلةٍ فرصةً، وفي كل تأخيرٍ حِكمةً، وفي كل نهايةٍ بدايةً.

ومن عاش حياته متفائِلاً بإيمان، صار نورًا لمن حوله، لأنَّ التَّفاؤلَ هو النُّور الذي يضيء القلوب قبل أن يضيء الطُّرُقَ. وهو الذي يجعل للحياة معنىً، حتى في أحلك الظروف؛ لأنَّ القلبَ الذي يعرف الله، يعرف أنَّ الغدَ يحمل دائمًا وعدًا جديدًا بالفرج.

◆ المَبحَثُ السَّابعُ:
الحِلْمُ وضَبطُ النَّفسِ.. قُوَّةُ العَقلِ أَمامَ الاِستِفزَازِ

أَوَّلًا: كَظمُ الغيظِ والحِلمُ في القُرآن:

إنَّ الحلم وضبط النفس في الرؤية القرآنيَّة هما من أعظم صور القُوةِ

الإنسانيَّة؛ لأنَّهما يُعبّران عن انتصار العقل على الانفعال، وسيادة الروح على الغضب. في مجتمع تمتلئ فيه الحياة بالمواقف المُستفِزَّة، يُصبح الحِلم هو الحصن الذي يحمي الإنسانَ من التسرُّع في ردود الأفعال، ويجعل عقله هو القائد، لا غضبه. يقول تعالى: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٤].

لا يجعل القرآن كظمَ الغيظ مجرّد فضيلة، بل يرفعه إلى مرتبة الإحسان، وكأنَّ الحِلمَ هو أرقى درجات المُعاملة مع النَّاس، لأنَّه يحتاج إلى قلب كبير قادر على أن يحتمّل الإساءةَ دون أن يردَّها بمثلها.

في حياتِنا اليوميَّة، كم من العلاقات انهارت بسبب كلمة غاضبة قيلت في لحظة انفعال؟ وكم من صداقة انتهت بسبب موقف عابر لم يتحكم فيه أحد الطرفين بمشاعره؟ ولهذا، يُعلّمنا القرآنُ أنَّ ضبطَ النَّفس هو مِفتاح النَّجاة من الندم؛ لأنَّ الغضب العابر قد يهدم ما بُني في سنوات.

جعل النبي محمد ﷺ الحِلم والعفو عنوانًا لقُوَّة الشخصيَّة والمَقدرة، حين قال: «أولى النَّاس بالعفو أقدرهم على العقوبة»[1]. في الثَّقافة الجاهليَّة، كان الشديد هو من يغلب الآخرين في القتال، أمَّا في الإسلام، فالشديد هو من يغلب نفسه ويضبطها.

---

١ - محمد بن علي القمي: الأمالي، ص٧٣.

ثَانيًا: لماذَا يَصعُب عَلى الإِنسَانِ أن يَكونَ حَليمًا؟

لأَنَّ الغَضبَ هو أسهل استجابَة أمامَ الاستفزاز، بينما الحِلم يتطلب صبرًا، ووعيًا، وتدريبًا على التَّحكُم في الذَّات. ولهذا، كان الحِلم من صفات الأنبياء؛ لأنَّهم واجهوا أشدّ صور الأذى، ومع ذلك قابلوا الإساءة بالعفو.

انظر إلى النَّبيّ موسى ﵇، حين واجه بطش فرعون وتكبُّره، كان يردّ بالحكمة لا بالغضب، وكان يدعو حتى لعدوه بالهداية: ﴿**فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ**﴾ [النازعات: ١٨]. هذا هو الحِلم في أبهى صوره: أن ترى في خصمك إنسانًا قابلاً للإصلاح، لا عدوًّا يستحق الانتقام.

ثَالِثًا: مَيادِينُ ضَبطِ النَّفسِ:

فِي الأسرة، الحلم هو الذي يحمي العلاقات من الانهيار. فالزوج الذي يملك نفسه عند الغضب، والوالد الذي يضبط أعصابه مع أبنائه، يصنعون بيتًا يسوده الأمن؛ لأنَّ الكلماتِ الجارحةَ التي تُقال في لحظة غضب تبقى آثارها طويلاً في القلوب.

فِي العملِ، الحِلم هو الذي يصنع القائدَ الحقيقي. فالمدير الذي يحتفظ بهدوئه في الأزمات، والزميل الذي لا يردّ على الاستفزاز بانفعال، كلاهما يساهم في خلق بيئة عمل صِحيّة. كم من مشكلات كان يمكن حلها بالحوار، لكنها تحولت إلى صراعاتٍ بسبب كلمة

غاضبة أو تصرُّف مُتسرّع؟

لكنَّ الحِلمَ لا يعني الضَّعف. يربط القرآن الحِلمَ بالقُوة؛ لأنَّ الحليمَ هو من يملك القدرةَ على الردّ لكنَّه يختار العفوَ. يقول -تعالى-: ﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾ [الفرقان: ٦٣]. هذا السلام ليس استسلامًا، بل هو تعبير عن السيطرةِ على الذَّات؛ لأنَّ الحَليم يختار معاركه ولا يضيع طاقته في الجدال العقيم.

رَابِعًا: كيفَ نَغرِسُ الحِلمَ فِي حَيَاتِنَا؟

يبدأ الحلم من داخل القلب، من تدريب النفس على التَّمهّل قبل الرد، وعلى التفكير قبل أن تنطلقَ الكلمة. فعن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: «ما من جرعة يتجرعها العبد أحب إلى الله عز وجل من جرعة غيظ يتجرعها عند ترددها في قلبه، إمَّا بصبر وإما بحِلم»[1]؛ لأنَّ الصَّمتَ في لحظة الغضبِ وكظمَ الغيظِ يمنح العقلَ فرصةً للحضورِ، ويمنع اللسان من أن يقولَ ما يندم عليه لاحقًا.

ثم يأتي القُرآن ليُعلّمنا أنَّ الحِلم ليس فقط مع النَّاس، بل حتى مع أنفسنا. حين نُخطئ، علينا أن نعفوَ عن أنفُسنا ونتوب، بدلاً من أن نحطّمَ أنفسنا باللوم المستمر. يقول -تعالى-: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ**

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص١١١.

أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]. هذا هو الحِلم الإلهي مع عباده، الذي يفتح باب التوبة مهما عظُم الذنب.

وفي النهاية، إنَّ الحِلمَ يجعل الإنسان سيّدًا على نفسه، وقادرًا على أن يبني علاقاتٍ متينةً قائمةً على التَّفاهم لا على الصدام. إنَّه القُوة التي تحافظ على كرامتك حتى وأنت في موقف ضعف، وتجعل الآخرين يرون فيك حكمة تتجاوز الانفعال.

ومن عاش بالحِلم، عاش في راحة نفسيَّة؛ لأنَّ قلبه لا يحمل أحقادًا، ولسانه لا ينطق إلا بخير، وعقله لا يتخذ قرارات يندم عليها لاحقًا. والحليم في نظر القرآن ليس إنسانًا صبورًا، بل هو إنسان يُحسّن إدارة مشاعره، ويجعل عقله هو القائد في كل موقف، مهما كان مستفزًا.

◆ المَبَحَثُ الثَّامنُ: الحَيَاءُ.. زِينَةُ الأَخلَاقِ ورُوحُ الإِيمَانِ

أَوَّلًا: الحَياةُ في التَّصوُّر القُرآنِيّ:

إنَّ الحياء في الرؤية القرآنيَّة هو تاج الأخلاق الذي يُزيّن روح الإنسان، ويعكس صفاء قلبه ونقاء سريرته. إنَّه القيمة التي تجمع بين

الخُلق والسلوك، وبين الإيمان والعمل، وبين العلاقة مع الله والعلاقة مع الناس. ولهذا، جاء عن الإمام علي (عليه السلام): «من كساه الحياء ثوبه لم يرَ النَّاس عيبَه»[1]. فالحياء ليس مجرَّدَ شعور داخلي، بل هو حاجز يحمي الإنسان من الوقوع في الذُّنوب وارتكاب المعايب، ويمنحه جمالًا يجعل أفعاله كلها تنطق بالفضيلة.

يعرض القرآن الكريم لنا الحياء في أرقى صوره، حين يصف مشية الفتاة التي جاءت إلى موسى (عليه السلام): ﴿**فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ**﴾ [القصص: ٢٥]. تعبير «على استحياء» يكشف أنَّ الحياء هنا لم يكن في ملبسها فقط، بل في مِشيتها، وفي طريقة كلامها، وفي سلوكها كلّه. لقد كان الحياءُ جزءًا من كيانها، يوجّهها في كل حركة تقوم بها.

ثانيًا: لماذا أَصبحَ الحَياءُ نادرًا في زَمانِنا؟

لأَنَّ الحَياءَ مُرتبط بالفِطرة، وعندما تَفسد الفِطرةُ بفعل ثقافات ماديَّة تمُجّد الجرأة الوقحة وتستهين بالعِفة، يبدأ الحياء في التراجع. كثيرٌ من الناس اليوم يظنّون أنَّ الجرأة هي علامة القوة، بينما القرآن يجعل الحياء هو القوة الحقيقيَّة؛ لأنَّه يتطلب إرادةً للوقوف أمام الأهواء والشهوات.

---

١ - الشريف الرضي: نهج البلاغة، ج٤، ص٥٠.

ثَالِثًا: مَجالَاتُ الحَيَاءِ:

الحَياءُ في الأُسرة هو سرّ المحبّة الدائمة. كم من بيتٍ تهدَّم لأنَّ الحياءَ غاب من بين جدرانه؟ حين يفقد الزوج حياءَه في ألفاظه، أو حين تهين الزوجة زوجها أمام النَّاس، يتحوَّل الحُبُّ إلى جفاء، والثّقة إلى شكوك. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «الحياء والإيمان مقرونان في قرن، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه»[1]، وكأنَّه يجعل الحياء هو أساس العلاقات؛ لأنَّه يجعل الإنسان يضع نفسه في موضع الآخر قبل أن يتكلّم أو يتصرّف. وفي العَلاقَاتِ الاجتماعيَّةِ، إنَّ الحياء يجعل الإنسان يلتزم بحدوده، فلا يتطفّل على الآخرين، ولا يؤذيهم بلسانه أو بنظراته. يجعل القرآن الحياء قاعدة في التَّعامل حتى في أدقّ التفاصيل، مثل الاستئذان قبل الدُّخول إلى البيوت: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا**﴾ [النور: ٢٧]. هذا هو الحياء العملي: أنْ تراعي خصوصيَّات الآخرين وتحترم مساحاتهم.

لكنَّ الحياءَ الأعظمَ هو الحياء من الله. فعن أمير المؤمنين عليه السلام موصيًا أحد وُلاته أنَّه قال: «احذر كل عمل يُعمل به في السر ويُستحى منه في العلانية»[2]. هذا هو الحياء الحقيقي، الذي يجعل الإنسان يراقب أفعاله حتى وهو وحده، لأنَّ قلبَه عامر بحضور الله.

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص١٠٦.

٢ - الشريف الرضي: نهج البلاغة، ج٣، ص١٢٩.

رَابِعًا: هَل الحَياءُ ضَعفٌ؟

علَى العكس، إنَّه قمة القوة؛ لأنَّ الحياءَ يجعل الإنسان يحترم نفسه قبل أن يطلبَ احترام الآخرين، وهو الذي يمنحه هيبة حتى في صمته؛ لأنَّ النَّاس يرون في الحيي صِدقًا ونقاءً يحترمونه دون أن يطلب ذلك.

وفي عصرٍ يغرق الناس فيه في ثقافة الاستعراض، يُصبح الحياء هو السلاح الذي يحفظ الإنسان من أن يجعل حياته كلها عرضًا للنَّاس. كثيرون اليوم يتباهون بكل شيء في حياتهم على وسائل التواصل، حتى يفقدوا خصوصيتهم، ويصبحون أسرى لنظرات النَّاس وآرائهم. الحياءُ هنا هو أن تحتفظ بجزءٍ من حياتك لنفسك؛ لأنَّ الإنسان الذي يكشف كل شيء يفقد شيئًا من رُوحه.

إنَّ الحياءَ تربية للنَّفس على العِفّة أيضًا. فالعِفّة ليست فقط الامتناع عن الحرام، بل هي طريقة تعامل الإنسان مع رغباته. حين يقول الله عن مريم عليها السلام: ﴿**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا**﴾ [التحريم: ١٢]، فهو يقدّمها نَموذجًا للعِفّة التي تنبع من الحياء الداخلي، لا من الخوف الخارجي. ثم يأتي الحياءُ في أروع صوره عندما يتعلّق بمسامحةِ الآخرين. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «اطلب لأخيك عُذرًا، فإن لم تجد له عذرًا فالتمس له عذرًا»[١]. هذا هو الحياء في الحُكم

١ - محمد بن علي القمي: الخصال، ص٦٢٢.

على النَّاس، أن تترك لهم مساحةً قبل أن تُسيء الظنَّ بهم.

في النهايةِ، الحياء ليس قيدًا، بل هو الحريَّة الحقيقيَّة؛ لأنَّه يمنع الإنسان من أن يكون عبدًا لشهواته أو ضحيَّةً لانفعالاته. إنَّه الذي يجعل الأخلاقَ طبيعيَّة لا مصطنعة؛ لأنَّ الإنسان الحَيي لا يحتاج إلى أن يتصنَّعَ الفضيلةَ؛ لأنَّها جزءٌ من رُوحه.

ومن عاش حياتَه بالحياء، عاش خفيفًا على قلوبِ النَّاس، كبيراً في نظرهم؛ لأنَّ الحياءَ هو الذي يزرع في القلوب الاحترام، حتى دون أن ينطقَ الإنسانُ بكلمة واحدة. وهو الذي يجعل من الحياة اليوميَّة ساحة لعبادةٍ صامتةٍ؛ لأنَّ كلَّ تصرُّفٍ فيه يُصبح انعكاسًا لجمال النفس ونقاء القلب.

الفَصلُ الثَّانِي:

الدّينُ فِي بِنَاءِ الأُسرَةِ وَالعَلَاقَاتِ العائِلِيَّةِ

◆ المَبحَثُ الأَوَّلُ:
القُرآنُ وبِناءُ الأُسرَةِ وَفقَ المِنهَجِ الإِلَهِيّ

إنّ الأُسرة في التَّصوُّر القرآني ليست مجرّد رابطة اجتماعيَّة، بل هي أساس البناء الإنساني، ومرآة القِيَم الإلهيَّة في الأرض. إنَّها النَّواة التي ينمو فيها الإنسان ويتعلَّم أوَّلَ دروس الحياة، حيثُ تُشكّل الأسرةُ أوَّل مساحة تطبيقيَّة للدّين، فإمَّا أنْ تُصبح منبعًا للقِيَم أو بيئة للاضطراب. لهذا، يجعل القرآن من الأسرة ساحةً مركزيَّةً لتجسيد الإيمان في العلاقات، والتعاملات، والمسؤوليات.

حين يقول -تعالى-: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، فإنَّه لا يتحدَّث فقط عن الزواج بوصفه عقدًا اجتماعيًّا، بل يقدّمه كآيةٍ، ومعجزة إلهيَّة قائمة على السكينة والمودة. هذه الآية تختصر فلسفة الأُسرة في الإسلام: ليس الأساس هو القانون، بل هو الرَّحمة التي تجعل من البيت ملاذًا للروح قبل الجسد.

أَوَّلًا: لماذَا تَنهَارُ كثيرٌ من الأُسرِ رغم وُجودِ العُقودِ والقَوَانين؟

إنَّ السَّكينَةَ والمودّة لا تصنعها العقود، بل تصنعها القِيَم التي يؤسّسها القرآن في العَلاقة بين الزوجين. حين يقول -تعالى-: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [النساء: ١٩]، فإنَّه يجعل المعروف قاعدةَ التَّعامل بين الزوجين، لا استثناءً. والمعروف هنا ليس مجرّد التزام قانوني، بل هو كل ما يجعل العلاقة إنسانيَّةً، قائمة على الاحترام والتَّقدير والتَّفاهم.

إنَّ الأُسرة التي تتأسَّس على قِيَم القرآن تُصبح ساحةً لتربية الإنسان الصالح؛ لأنَّ الطفل يتعلَّم القِيَم لا من الدروس النظريَّة، بل من رؤية الحُبّ والصبر والعدل والرحمة مجسّدةً في سلوك والديه. ولهذا، حين يوصي القرآن بالوالدين، فإنَّه يجعل برَّهما جزءًا من الإيمان نفسه: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [الإسراء: ٢٣]. لاحظ هنا كيف يربط التَّوحيد ببر الوالدين، وكأنَّ العَلاقةَ مع الله تبدأ من العلاقة مع الأسرة.

لكنَّ البرَّ ليس مجرّد طاعة عمياء، بل هو موقفٌ خلقيٌّ قائمٌ على العطف والرحمة وتحمّل المسؤولية. حين يقول -تعالى-: ﴿**وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**﴾ [لقمان: ١٥]، فإنَّه يجعل الصحبة الحسنة هي التعبير العملي عن البر، بحيثُ يشعر الوالدان بأنَّ وجود الابن في حياتهما نعمة، لا عبء.

أمَّا العَلاقة مع الأبناء، فيجعلها القرآن مسؤولية تربويَّة قائمة على

التَّوجيه بالحِكمة، لا على السيطرة بالعُنف. نموذج لقمان في حواره مع ابنه مثالٌ خالدٌ على التَّربية القرآنيَّة؛ حيثُ يبدأ الحوارُ بالتَّوحيد، لكنَّه لا يتوقف عند العقيدة، بل يشمل القِيَم السُّلوكيَّةَ والخُلُقيّة: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]. لاحظ كيف يمزِج لقمان بين التربية الإيمانيَّةِ والتَّربيةِ الاجتماعيَّةِ، وبين الصلاةِ والأمر بالمعروف؛ لأنَّ الدّين في القرآن ليس شعائر فقط، بل منهج حياةٍ يتجسَّد في السُّلوك.

ثَانيًا: لماذَا تَفشَلُ كثيرٌ من الأُسر في تربية أبنائها رغم كثرة النصائح؟

إنَّ السَّبب في ذلك هو غِياب القُدوة، فالطفل لا يتعلَّم ممَّا يسمعه، بل ممَّا يراه. حين يرى أنَّ والدَه يُصلي لكنَّه يغش في العمل، أو أنَّ والدته تصوم لكنَّها تغتاب الجيران، يتعلّم النفاق قبل أن يتعلّمَ الإيمان. لهذا، فإنَّ القرآن لا يوصي بالتربية بالأقوال فقط، بل بالتربية بالأفعال؛ لأنَّ السلوك هو اللغة التي يفهمها الأطفال بعمقٍ.

ولا تتوقّف مسؤولية الأسرة عند التربية، بل تَشمل أيضًا العدلَ بين أفرادها. يحذّر القرآن من التمييز بين الأبناء؛ لأنَّ الظُّلم الأُسري هو أول جرح يُصيب الرُّوح ويزرع الحقد والكراهية.

ثم تأتي قضية الطلاق، التي يعالجها القرآن بروح الحفاظ على الأسرة

ما أمكن، لكن إذا أصبح الانفصال هو الحل، فإنَّه يأمر بالعدل والإحسان حتى في لحظة الافتراق. يقول -تعالى-: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. لاحظ هذه العظمة القرآنيَّة: حتى عند نهاية العلاقة، يطلب الله من الزوجين أن يتذكّرا الفضل؛ لأنَّ الأُسرة في نظر القرآن ليست مجرّد عقد اجتماعي، بل هي علاقة إنسانيَّة تقوم على المودة حتى في الخلاف.

ثَالثًا: لماذَا تَتفكَكُ كثيرٌ من الأُسرِ اليَومَ رَغمَ كَثرةِ القَوانِين وَالاستشَارَات؟

إنَّ كَثيراً منَ الأُسر فقدت الرُّوح الإيمانيَّة التي تجعل العلاقة قائمةً على الرَّحمة، لا على المصلحة. حين تتحوَّل الأُسرة إلى ساحةٍ للصراع على الحُقوق، بدل أن تكون مساحة للعطاء المتبادَل، فإنَّها تفقد معناها القرآني. ولهذا، فإنَّ الحلَّ لا يبدأ من القوانين، بل من إعادة مركزيَّة القِيَم القرآنيَّة في العلاقات الأُسريَّةِ.

إنَّ القُرآنَ يجعلُ من الأسرة مساحة لتجسيد كل القِيَم الإيمانيَّة الكُبرى: الرحمة، والعدل، والإحسان، والصدق، والأمانة. فإذا أصبحت هذه القِيَم هي القاعدة التي تقوم عليها الأسرة، فإنَّ المجتمعَ كلَّه يُصبح انعكاسًا لهذه القِيم؛ لأنَّ الأُسرةَ هي أوَّل مدرسة يتخرَّج منها الإنسان.

إن الأُسرة في التَّصوُّر القرآني ليست مؤسسة اجتماعية فقط، بل هي

ساحة لتجسيد الإيمان وتحويل القِيَم إلى سلوك. إنَّها المكان الذي يتعلَّم فيه الإنسان كيف يُحب، وكيف يرحم، وكيف يعدل، وكيف يكون مسؤولًا. وحين تغيب هذه القِيَم عن الأسرة، فإنَّ المجتمعَ كلَّه يتصدع؛ لأنَّ الأُسرة هي الأساس الذي يُبنى عليه كل شيء. وإذا أردنا أن نعيدَ للمجتمع تماسكه، فعلينا أن نعيدَ للقرآن دوره في بناء الأُسرة؛ بحيثُ تصبح بيوتُنا أماكنَ تعكس نور القِيَم الإلهيَّة في كلِّ تفاصيل الحياة.

◆ المَبحَثُ الثَّاني:
العَفوُ وَالتَّسَامُح فِي ضَوءِ القُرآنِ الكَرِيمِ.. قُوَّةُ الرُّوحِ فِي مُوَاجَهَةِ الأَذَى

إنَّ العفو والتَّسامح في القرآن الكريم ليسا مجرَّد فضيلتين خُلُقيّتين، بل هما من أعظم صُور القوة الروحيَّة التي يمتلكها الإنسان. في عالمٍ تمزِّقه الصراعات وتُثقل كاهله الأحقاد، يأتي القرآن ليُعلّمنا أنَّ العَفو هو طريق إلى التحرُّر، وأنَّ التَّسامح هو انتصار لا يفهمه إلا القلوب الكبيرة. يقول -تعالى-: ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ [النور: ٢٢]. هنا، يربط القرآن بين العفو والمغفرة الإلهيَّة، وكأنَّ من يسامح الآخرين يفتح بابًا لمغفرةٍ أوسع من الله نفسه. إذاً التَّسامح، ليس فقط إحسانًا إلى الآخرين، بل هو إحسان إلى النَّفس؛ لأنَّه يحررها من قُيود الكراهية.

أَوَّلًا: قِيمَةُ العَفوِ والتَّسامُحِ فِي القُرآن:

في قلب الثّقافة القرآنيَّة، العفو لا يعني الضعف، بل هو فعل يصدر عن قلب قوي، قادر على أن يتجاوز الأذى لأنَّه أكبر من جراحه. فحين عاد النبيُّ محمد ﷺ، إلى مكّة منتصرًا، كان بإمكانه أن ينتقمَ من كل من آذوه، لكنَّه قال كلمته الخالدة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[1]. تلك اللحظة لم تكن فقط فتحًا لمكّة، بل كانت فتحًا للقلوب التي استحالت إلى محبَّة بعدما كانت حقدًا.

يُعلّمنا القرآن أنَّ قيمة العفو تزداد حين يكون الإنسان قادرًا على العقاب، فيقول: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٤].

إنَّ التسامح هنا ليس موقفًا سلبيًّا، بل هو إحسان، وهو فعل يتجاوز مجرّد كبت الغضب ليصل إلى الصفح النابع من قلبٍ متصالحٍ مع نفسه.

ثَانِيًا: العَفوُ والتَّسامحُ فِي الحَياةِ اليَومِيَّةِ:

في الحياة اليوميَّة، كثيرًا ما نُواجه مواقفَ تستفزّنا أو تجرحنا من زميل عمل أو جار أو حتى صديق مقرَّب. وهنا يظهر الفرق بين من يرى التَّسامح ضعفًا، ومن يراه رفعةً. لا يعني العفو أن نسمح للآخرين

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٣، ص٥١٣.

بإيذائنا، بل يعني أن نحفظَ حقَّنا دون أن نملأ قلوبنا بالكراهية. فالإنسان المتسامح هو الذي يعرف متى يُسامح، ومتى يُطالب بحقه، لكنَّه لا يسمح للغضب أن يتحول إلى حقد يأكل قلبه.

في العلاقات الأُسرية، قد تكون كلمة جارحة سببًا في قطيعة طويلة، لكنَّ القرآنَ يدعونا إلى أن نعطي الأولويَّة للتَّسامح؛ لأنَّ العائلة تُبنى على المحبة لا على تصفية الحسابات. ويقول -تعالى-: ﴿**وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾ [البقرة: ٢٣٧]. فالعفو هنا ليس فقط موقفًا خُلُقِيًّا، بل هو جزء من التقوى، وكأنَّ الإنسان لا يبلغ كمال إيمانه حتى يتعلَّم كيف يُسامح.

ثَالثًا: هَل يعني الإحسَانُ التَّهاون في الحَق والعَدلِ؟

لكنَّ التَّسامحَ لا يعني التَّنازل عن الحقوق أو التهاون في العَدل. يضع القرآن العدل قاعدة، ويجعل العفو فضيلةً فوق العدل؛ بحيثُ يكون العفوُ خيارًا شخصيًّا نابعًا من القلب، لا فرضًا على المظلوم. ولهذا يقول -تعالى-: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾ [الشورى: ٤٠]. هنا، يُترك الباب مفتوحًا للعفو، لكنَّه لا يلغي حقَّ الإنسان في المطالبة بالعدل إذا شاء.

إنَّ العفو والتَّسامح هما أيضًا أساس بناء المجتمعات القويَّة. فالمجتمع الذي تغيب فيه ثقافة التَّسامح يتحوّل إلى ساحة للثأر والانتقام؛ حيث تسود الكراهية وتنعدم الثّقة. أمَّا المُجتمع الذي يقوم

على ثقافة العفو، فإنَّه يتحوَّل إلى مجتمعٍ متصالحٍ، يعرف كيف يحل نزاعاته بالحوار لا بالسَّيف، وبالحكمة لا بالغضب.

إنَّ التسامحَ في العمل، والتسامح في الطَّريق، والتسامح في الطَّوابير، كلها أشكال صغيرة تجعل من الحياة اليوميَّة أكثر لُطفًا، وتجعل من الدين تجربة حيَّة ملموسة، لا مجرد شعائر؛ لأنَّ القرآن حين يدعو إلى العفو، لا يقصد فقط العفو في القضايا الكُبرى، بل العفو في أبسط التعاملات.

في النهاية، العفو ليس فقط هديَّة للآخرين، بل هو هدية للنَّفس. إنَّه قرار بأنَّك لن تسمح للأذى بأن يعيشَ داخلك، ولن تجعلَ من قلبك سجنًا للأحقاد. إنَّه أنْ تكونَ قويًّا بما يكفي لتقول: «سامحتك»، لا لأنَّك ضعيف، بل لأنَّك أقوى من جِراحك.

إذا أردنا أن يكون الدين جزءًا من حياتنا اليوميَّة، فعلينا أن نَحْمِلَه في قلوبنا قبل أن نَحْمِلَه في كلماتنا. والعفو، ربما أكثر من أي فضيلةٍ أُخرى، هو الذي يجعل الإيمان نورًا يسكن الروح، وسلامًا يملأ الحياة.

◆ المَبحَثُ الثَّالثُ:

الوَفَاءُ بالعَهدِ.. بِنَاءُ الثّقةِ في العَلَاقاتِ الإِنسَانِيَّةِ

أَوَّلًا: الوَفاءُ بالعُهود في التَّصوُّر القُرآنيِّ:

إنَّ الوفاء بالعهد في التَّصوُّر القرآني هو حجر الأساس الذي تُبنى

عليه الثقة بين الناس، وهو المعيار الذي يَقيس به القرآن صدق الإيمان وعمق الأخلاق. إنَّه التزام بالقِيم قبل أن يكون التزامًا بالكلمات، وهو ما يجعل الإنسان أهلًا للثّقة في نظر الخالق والمخلوق. يقول -تعالى-: ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾ [الإسراء: ٣٤].

لاحظ أنَّ اللهَ لم يربط العهد بالمصلحة أو بالموقف، بل جعله مسؤوليَّة مُطلقة، لأنَّ الوفاءَ بالعهد هو انعكاس للصدق الداخلي قبل أن يكون سلوكًا خارجيًّا.

في حياتنا اليوميَّة، يحفظ الوفاء بالعهد العلاقات من التصدُّع، سواء أكانت علاقة عمل، أم صداقة، أم علاقة زوجيَّة. كل علاقةٍ تنهار، يبدأ انهيارها من نقض عهد ما: وعد لم يُنفَّذ، أو التزام لم يُحترَم. ولهذا، يجعل القرآن الوفاءَ بالعهد جزءًا من التَّقوى نفسها؛ حيثُ يقول -تعالى-: ﴿**بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ٧٦]. فالمتَّقي حقًا هو من يفي بعهوده حتى لو تغيَّرت الظروف أو تبدَّلت المصالح.

ثانيًا: لماذا يَفشلُ كثيرٌ من النَّاسِ في الوَفاءِ بعهُودِهم؟

لأنَّهم يظنُّون أنَّ العهدَ التزامٌ خارجيٌّ فقط، بينما هو -في الحقيقة- التزامٌ داخليٌّ مع النفس قبل أن يكون مع الآخر. كثيرون يَعِدون ثم يتراجعون عندما

يجدون أنَّ الوفاءَ بالعهد يتطلّب تضحية أو صبراً أو خسارة ماديَّة. ولهذا، كان العهدُ في القرآن اختبارًا للإخلاص والثَّبات على القِيَم.

ثَالِثًا: مَيَادِينُ الوَفَاءِ بِالعَهدِ:

يظهر الوفاء بالعهد في العلاقات الأُسريّة في أعمق صوره. فالزواج في القرآن هو عهدٌ غليظٌ، يقول -تعالى-: ﴿**وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا**﴾ [النساء: ٢١]. فليس الزَّواج مجرّد عقد قانوني، بل هو ميثاق خُلُقيّ قائم على الوفاء؛ حيثُ يَعِد كلٌّ من الزَّوجين أن يكون سندًا للآخر في السرَّاء والضَّرَّاء. ولهذا، فإنَّ خيانة هذا الميثاق ليست مجرّد خطأ، بل هي كسرٌ للعهد الذي أعلنه الإنسان أمام الله.

أمَّا في العمل، فالوفاء بالعهد هو روح الاحترافيَّة التي تبني الثّقة بين الشركاء. العامل الذي يلتزم بمواعيده وصاحب العمل الذي يلتزم بدفع الأجور كلاهما يمارس الوفاء بالعهد؛ «فإنّ المسلمين عند شروطهم إلَّا شرط حرَّم حلالاً أو أحلَّ حرامًا»[1] كما ورد عن الإمام الصادق ﴿عليه السلام﴾، وهذا يعني أنَّ وعدك عقد، وكلمتك عهد، ولو كانت شفهيَّة.

لكنَّ الوفاءَ بالعهد لا يكون فقط مع البشر، بل هو قبل ذلك عهد مع الله. حين يقول المؤمن في صلاته ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾

---

١ - محمد بن الحسن الطوسي: تهذيب الأحكام، ج٧، ص٤٦٧.

[الفاتحة: ٥]، فإنَّه يبرم عهدًا مع الله بأن يلتزم بطريقه، فهل يفي بهذا العهد خارج الصلاة؟ ولهذا كان من صفات المنافقين: ﴿**وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ**﴾ [التوبة: ٧٥]، ثم أخلفوا وعدهم، فاستحقُّوا اللوم الإلهي.

إنَّ الوفاءَ بالعهد أيضًا هو أساس العدالة في المعاملات. في البيع والشراء، قد يكون العهد شفهيًّا أو ضمنيًّا، لكنَّ القرآن يجعل احترامه واجبًا. يقول -تعالى-: ﴿**وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ**﴾ [الأنعام: ١٥٢].

فالتَّاجر الذي يغش في الميزان ينقض عهد الأمانة مع زبونه، تمامًا كما ينقض الكاذب عهده مع من وثق به.

رَابِعًا: الوَفاءُ بالعَهدِ في ظِل الصعاب:

هنا يظهر المعنى الأعمق للوفاء. كان النَّبي ﷺ مثالاً للوفاء حتى في أصعب الظروف. في صلح الحُديبية، التزم بعهوده مع قُريش رغم أنَّ ظاهر الاتفاق كان في غير مصلحته، لكنَّه علم أنَّ الوفاء بالعهد هو الذي يصنع الثقة ويمُهّد للفتح الأكبر.

ولأنَّ الوفاء بالعهد قيمةٌ عُليا، فإنَّ القرآن يجعل نقض العهد من علامات الفساد؛ حيثُ يقول: ﴿**وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَـٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ**﴾ [الرعد: ٢٥]. فالذي ينقض العهود لا يهدم علاقة

واحدة، بل يهدم الثقة التي يقوم عليها المجتمع كله.

في النهاية، الوفاء بالعهد ليس مجرَّدَ خلق اجتماعيّ، بل هو عبادة قلبيَّة تعكس صدق الإنسان مع نفسه ومع اللهِ ومع الناس. إنَّه القاعدة التي تجعل كلمتك عقدًا، ووعودك أمانةً، وعلاقاتك متينةً.

ومن جعل الوفاءَ بالعهد جزءًا من حياته، صار محل ثقةٍ، ومنبع أمان لمن حوله، ونال حبَّ الله الذي يحب المتَّقين الصادقين في عهودهم؛ لأنَّ العهد في الإسلام ليس ورقة ممضاة، بل هو التزام في القلب قبل أن يكون على الورق، وهو الذي يجعل الإنسان مرآةً للحقّ في كل تصرُّفاته.

الفَصلُ الثَّالثُ:
الدّينُ فِي الحَيَاةِ المِهنِيَّةِ والمُجتَمَعِيَّةِ

◆ المَبحَثُ الأَوَّلُ:
العَملُ والإنتَاجُ فِي ضَوءِ القُرآنِ الكَرِيمِ.. إِتقَانُ الحَياةِ عِبادَةٌ

إنَّ العمل في الرؤيةِ القرآنيَّة ليس مجرّد وسيلة لكسبِ الرّزق، بل هو فعلٌ عِباديٌّ، ومساحة لتجسيد القِيَم الإيمانيَّة في الواقع. يجعل القرآن من العمل جزءًا من كرامة الإنسان ورسالةَ وجوده؛ لأنَّه عَبْرَ العمل يعمر الأرض، ويشارك في بناء الحياة، ويحقق ذاته كخليفة لله في الأرض. لهذا، حين يقول تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ**﴾ [الملك: ١٥]، فإنَّه يربط الرزق بالسعي، ويجعل الحركةَ والعمل جزءًا من التعبير عن الإيمان.

أَوَّلًا: لِماذَا يُصوّر القُرآنُ العَملَ كعِبادَة؟

لأنَّ العَملَ إذا كان بِنِيَّة الإحسان والإتقان يتحوَّل إلى جسر بين الإنسان وربّه. حين قال النبي ﷺ: « إذا عمل أحدكم عملا فليتقن»[1]،

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٣، ص٢٦٣.

فإنَّه يعكس روح القرآن التي تجعل الإتقان في العمل تعبيراً عن حُبِّ الله؛ لأنَّ الإحسانَ في العمل هو انعكاس للإحسان في الإيمان.

وفي هذا السّياق، يجعل القرآنُ إتقانَ العمل مسؤوليَّةً دينيَّةً قبل أن تكون مسؤوليَّة مِهنيَّة. يقول -تعالى-: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ**﴾ [التوبة: ١٠٥]. لاحظ كيف يضع الله نفسه شاهدًا على العمل، ممَّا يجعل كل عمل مسؤوليَّة أمام الله قبل أن يكون مسؤوليَّة أمام البشر. هذا المعنى وحده كافٍ لتغيير مفهوم العمل من مجرّد وظيفة إلى رسالة إيمانيَّة.

لكنَّ العملَ في القرآن لا يقتصر على الكسب الماديّ، بل يشمل كل جهد يبذله الإنسان في إعمار الأرض، من العلم إلى الزراعة، ومن التجارة إلى التعليم. ولهذا، حين يقول -تعالى-: ﴿**وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا**﴾ [النبأ: ١١]، فهو يشير إلى أنَّ النَّهار هو وقت البناء والإنتاج، مما يجعل العمل جزءًا من دورة الحياة التي أرادها الله للإنسان.

وهذا ما يجعل الكسلَ والتَّواكلَ نقيضًا للإيمان؛ لأنَّ القرآن يربط بين الإيمان والسعي، وبين الدعاء والعمل. يقول -تعالى-: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ**﴾ [الجمعة: ١٠]. لاحظ كيف يأمر بالانتشار مباشرة بعد الصَّلاة، وكأنَّ القرآنَ يقول: كما وقفت بين يدي الله في الصلاة، قف بين يديه في العمل؛ لأنَّ كُلَّ عملٍ تؤدّيه بإحسان هو امتداد لعبادتك.

ثانيًا: لماذا تَفقدُ كَثيرٌ من المُجتَمعَات المُسلمَة رُوحَ الإتقَان؟

إنَّ السَّبب هو فقدان المعنى الإيماني للعمل. حين يُصبح العمل مجرّد وسيلة للرزق، يفقد الإنسان الشعور بالرسالة، فيعمل بلا روح، ويُتقن فقط تحت ضغط الرقابة، ويغش متى سنحت له الفرصة. ولهذا، فإنّ أوّل ما يفعله القرآن هو أن يجعل الرقابة داخليَّة، حين يقول: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا**﴾ [الأحزاب: ٥٢]. فالإتقان الحقيقيُّ لا يأتي من الخوف من المدير، بل من الشُّعور بأنَّ اللهَ يرى، وأنَّ كُلَّ عملٍ صغير هو جزء من ميزان الأعمال يوم القيامة.

ثَالثًا: العَدلُ والأَمانَةُ فِي العَمَلِ:

يأتي القرآنُ ليضع قاعدة أخرى للعمل: العدل والأمانة. فالعمل الذي يقوم على الغِش، أو الاستغلال، أو الظُّلم، هو عمل يفقد قيمته الإيمانيَّة. يقول تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ**﴾ [المطففين: ١]، والمطففون ليسوا فقط التجار الذين يغشون في الكيل، بل هم كل من يبخس الآخرين حقهم، سواء كان طبيبًا يُهمل مريضه، أو عاملًا يتقاضى أجره دون أن يؤدي عمله، أو مديرًا يميز بين موظفيه بغير حق.

يتَّضح هذا المعنى أكثر حين نتأمل قُصّة شعيب عليه السلام مع قومه؛ حيثُ كان فسادهم الأساسي هو الغش في المُعاملات الاقتصاديَّة، فقال لهم: ﴿**أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ**﴾ [الشعراء:

١٨١]. إنَّ العدل في العمل أساس الإيمان، مما يعني أنَّ العمل الذي لا يحترم حقوق الناس، مهما كان ناجحًا اقتصاديًّا، هو عمل ساقط دينيًّا وخُلُقِيًّا.

رَابعًا: التَّعاونُ الجَماعِيُّ في العَملِ:

ينتقل القرآن إلى قضيَّة أخرى في مفهوم العمل: التَّعاون الجماعي. فالعمل في الرؤية القرآنيَّة ليس فرديًّا فقط، بل هو جزء من شبكة العلاقات الاجتماعية التي تقوم على التَّعاون والإيثار. يقول -تعالى-: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾ [المائدة: ٢]. يجعل القرآن هنا التعاون قيمة إيمانيَّة، بحيثُ يصبح نجاحك في العمل مرتبطًا بقدرتِك على العمل الجماعي، واحترامك لزملائك، وعدالتك في التعامل معهم.

خَامسًا: لِماذَا يفشلُ كَثيرٌ من بِيئَاتِ العَملِ فِي العَالَم الإِسلاَمِيّ؟

إنَّ السَّبب في ذلك هو فقدان روح التَّعاون، وغيابُ قِيَم الإحسان، وتحوُّل العمل إلى صراع على المصالح بدل أن يكون ميدانًا للعطاء. لهذا، فإنَّ القرآنَ حين يتحدَّث عن العمل، لا يتحدَّث عن التقنية فقط، بل عن الروح التي تحكم العلاقات داخل بيئة العمل، من العدل إلى الإحسان، ومن التعاون إلى الرحمة.

وأخيراً، يربط القرآن العملَ بالأملِ، ويجعل من العمل طريقًا لتجاوز

الأزمات، سواء أكانت ماديَّة أم نفسيَّة. حين خرج النبيُّ موسى عليه السلام من مصر، كان أول ما فعله هو أن عمل وساعد قومَ مَدين، رغم أنَّه كان في مِحنة. يقول تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ﴾ [القصص: ٢٤]. يُعلِّمنا القرآن هنا أنَّ العملَ ليس فقط مصدرًا للرزق، بل هو وسيلةٌ للنَّجاة، وطريقٌ لإيجاد الذَّات، ووسيلة للخروج من الأزمات.

إنَّ العمل في القرآن الكريم هو تجسيدٌ للإيمان، وهو ميدان العبادة الحقيقي الذي تظهر فيه القِيَم الإيمانيَّة في أدق تفاصيل الحياة. إنَّه مساحةُ الإحسان والإتقان والعدل والتعاون. وإذا أردنا أن يعيدَ العمل دوره في بناء حضارتنا، فعلينا أن نعيدَ له روحه الإيمانيَّة؛ بحيثُ لا يكون مجرّد وظيفة، بل رسالة يعيشها الإنسان بصدق، ويرى فيها وجه الله قبل وجه مديره. وبهذا، يُصبح العمل طريقًا للنَّهضةِ، ووسيلةً للعبادةِ، وجسرًا يصل الإنسان بخالقه من خلال كل ما يصنعه بيده من خيرٍ وعطاء.

◆ المَبحَثُ الثَّانِي:

الالِتِزامُ بالقَوانِينِ والنِّظَامِ العَامِ في ضَوءِ القُرآنِ الكَرِيمِ.. طَاعَةٌ تَنبعُ مِن الإِيمَانِ

يجعل القُرآن الكريم الالتزام بالنِّظام العام جزءًا من التَّدين؛ لأنَّ

القوانين التي تحفظ النظام في المُجتمع هي ضمان لحقوق النَّاس وأساسٌ للعدل والاستقرار. فإذا كان الدّين هو منهاج الحياةِ، فلا يمُكن أن يكونَ التَّدين صادقًا إذا لم يظهر في احترام القوانين التي تُنظّم العلاقات وتحمي الحقوق. ولهذا، يجعل القرآن طاعة أُولي الأمر جزءًا من طاعة الله، طالما كانت هذه الطَّاعة في إطار العدل والقِيَم الإلهيَّة. يقول -تعالى-: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩].

أَوَّلًا: لماذَا يَربطُ القُرآنُ بَينَ طاعةِ الله وطَاعةِ أُولِي الأمرِ؟

لأنَّ المُجتمعَ الذي يفقد احترامَ القانونِ يفقد العدالَةِ، وتتحول الحياة فيه إلى صراع تحكمه المصالح الفرديَّة والقوة الغاشمة. ولهذا، فإنَّ الالتزام بالقانون ليس فقط احترامًا للنظام، بل هو جزء من إقامة العدل الذي أمر به الله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**﴾[النحل: ٩٠].

غير أنَّ القرآنَ لا يدعو إلى الطَّاعة العمياءِ، بل إلى الطاعة التي تنطلق من الوعي والعدل. فإذا خالف القانون قِيَم الحق والعدل، فلا طاعة له، لأنَّ الطَّاعةَ المُطلقةَ لله وحده. فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لا دين لمن دان بطاعة المخلوق ومعصية الخالق»[1]. هذه المعادلة تجعل من

---

١ - محمد بن علي القمي: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص٤٧.

احترام القوانين الصالحة جزءًا من العبادة، وتجعل من مقاومةِ القوانين الظالمة جزءًا من الجهاد.

لكنَّ الالتزامَ بالنّظام العام لا يظهر فقط في المواقف الكُبرى، بل يتجلَّى في التَّفاصيل الصَّغيرة التي تكشف عن مدى صدق الإنسان في تديُّنه. حين يحثُّ القرآن على الوفاء بالعهود، يقول: ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولا**﴾[الإسراء: ٣٤].

وهذا يشمل كل عقدٍ وكل التزامٍ، من احترام قانون المرور إلى الالتزام بآداب الطابور، ومن دفع الضرائب المُستحقة إلى احترام قوانين العمل. كل هذه السلوكيَّات، رغم أنَّها قد تبدو بسيطة، هي في جوهرها اختبارات للإيمان، لأنَّ الإنسان الذي يخالف النظام في الخفاء هو ذاته الذي قد يخون الأمانة إذا أتيحت له الفرصة.

ثانيًا: لماذَا تَنتَشر الفَوضى فِي بعضِ المُجتَمعاتِ التي يَكثرُ فيها اَلتَّدُّن الشَّكلي؟

السَّبب هو أنَّ التَّدين أصبح شعائر بلا قِيَم، وأنَّ النَّاس فصلوا بين الدين وبين السلوك العام. كثيرون يُصلُّون، لكنَّهم يقطعون الإشارة الحمراء، أو يغشون في الموازين، أو يحتلُّون الأرصفة، وكأنَّ الدّين ينتهي عند أبواب المسجد. ولهذا، فإنَّ القرآن يربط بين الإيمان والسلوك العملي؛ بحيثُ يُصبح احترام النظام جزءًا من التَّعبد لله.

ثم يأتي القرآن ليؤكد أنَّ احترام النظامِ العام ليس مسؤوليَّة فرديَّة فقط، بل هو جزء من العدالة الاجتماعيَّة التي تضمن حقوق الجميع. يقول -تعالى-: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

فالإنسان الذي يلقي القمامة في الشارع لا يضر نفسه فقط، بل يضر مجتمعه كله. والذي يتجاوز دوره في الطابور لا يأخذ حقًا لنفسه، بل يسرق حق الآخرين. ولهذا، فإنَّ القرآن يجعل احترام النظام جزءًا من التَّعاون على البر والتقوى، ويجعل انتهاك النظام تعاونًا على الإثم والعدوان.

ثَالثًا: كيف يُصبحُ الالتزام بالنّظامِ العَام جُزءًا من تَديُّننا اليَّومي؟

الجواب يبدأ من تغيير النّيَّة. حين نَعبر الطَّريق من المكان المُخصَّص، نفعل ذلك لأنَّنا نحترم حق الآخرين، وليس فقط لأنَّنا نخاف العقوبة. حين نلتزم بقوانين المرور، نفعل ذلك لأنَّ الله أمرنا بحفظ النفس، لا لأنَّ الكاميرات تُراقبنا. حين نُحافظ على المرافق العامة، نفعل ذلك لأنَّنا نراها أمانةً من الله، لا لأنَّ القانون يُعاقب من يتلفها.

وهنا يتجلَّى الفرق بين التَّدين الحقيقي والتَّديُّن المزيَّف: التَّدين

الحقيقي يجعل الالتزام بالقانون طاعةً لله، حتى لو لم يكن هناك من يراقب. أمَّا التَّدين المزيف، فيجعل الإنسان يبحث عن الثَّغرات ويتحايل على القوانين ما دام لا أحد يراه. ولهذا، فإنَّ القرآن يعلّمنا أنَّ الإحسان هو أن تعبد الله كأنَّك تراه، وهذا يشمل كل سلوك في الحياة العامة.

ثم يأتي القرآن ليحذرنا من أنَّ الفوضى في السلوك العام ليست مجرّد مشكلة اجتماعيَّة، بل هي علامة على فساد القيم وغياب العدل. يقول -تعالى-: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**﴾ [الروم: ٤١]. وهذا الفساد يشمل كلَّ صورة من صور التَّعدي على النظام، من الرشوة إلى الغش، ومن التَّهرب الضَّريبي إلى احتكار السلع، وكلها مظاهر تجعل المُجتمع يفقد قِيمَ العدل والتَّعاون.

رَابعًا: مَا الذي يَجعلُ الإنسانَ يلتزِمُ بالنّظامِ حتَّى حين لا يراهُ أَحدٌ؟

هنا يأتي دَور الرقابة الإيمانيَّة التي يغرسها القرآن. حين يقول -تعالى-: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾ [الحديد: ٤]، فهو يُعلّمنا أنَّ القانون الأوَّل هو الضمير، وأنَّ الحارسَ الحقيقي هو الإحساس بمراقبة الله.

ولهذا، فإنَّ المُجتمع الذي يحترم أفرادُه القوانين من منطلق إيمانيّ

هو مجتمع لا يحتاج إلى كثرة العُقوبات؛ لأنَّ الالتزام فيه يأتي من الداخل، لا من الخوف من الخارج.

إنَّ الالتزام بالنّظام العام في الرؤية القرآنية هو جزءٌ من الإيمان؛ لأنَّه تعبير عن العدل، وصيانة للحقوق، وتجسيد لِقيم التَّعاون والإحسان. إنَّه اختبارٌ يوميّ للتَّدين الحقيقي؛ لأنَّه يظهر في السلوك قبل الأقوال، وفي التَّفاصيل الصغيرة قبل الشعارات الكبيرة. وإذا أردنا أنْ نجعل الدين حاضرًا في حياتنا، فعلينا أن نبدأ من هنا: من احترام القوانين، والمحافظة على النظام، والتزام العدل في كل صغيرةٍ وكبيرةٍ. وعندها، يُصبح المجتمعُ نفسُه انعكاسًا لِقيم القرآن، ويصبح كل طريق وكل مؤسَّسة وكل مساحة عامة، صورةً من صور الإحسان الذي أمر به الله.

◆ المَبحَثُ الثَّالثُ:
الإِيثَارُ والتَّعاونُ.. رُوحُ الجمَاعةِ فِي المُجتمعِ الإِيمانِيّ

إنَّ الإيثار والتَّعاون في التَّصوُّر القرآني هما قلب المجتمع الإيماني، وأساس العلاقات التي تقوم على المحبَّة والرحمة. إنَّهما التعبير العملي عن الإيمان الذي يجعل الإنسان يرى حاجات الآخرين جزءًا من مسؤوليَّته، ويسعى إلى سدّها وكأنَّها حاجاته الشخصيَّة. يقول -تعالى-: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: ٢].

هذا الأمر الإلهي يجعل التعاون قانونًا أخلاقيًّا يَحكم العلاقات الاجتماعيَّة، ويجعل الإيثار قمة هذا التعاون؛ لأنَّه صورةٌ من صور العطاء التي تتجاوز حدود الواجب إلى مساحة الفضل.

أوَّلًا: الإيثارُ والتَّعاونُ مِن منظَار قُرآنيّ:

يأتي الإيثار في القرآن كقيمةٍ نبيلةٍ تنبثق من الإحساس العميق بالآخرين، حتى في أحلك الظروف. أروع مثالٍ على ذلك ما وصفه الله عن الأنصار: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[الحشر: ٩].

ليس الإيثار هنا مجرّد مساعدة، بل هو تقديم حاجة الآخر على حاجتك، حتى لو كنت في أمسّ الحاجة لما تُعطيه. لكن، لماذا يُصبح الإيثارُ نادرًا في المجتمعات الحديثة؟ لأنَّ الإنسان المعاصر بات يُركز على ذاته، مُتأثرًا بثقافة الفَردانيَّة التي تمُجّد «الأنا» وتُغذّي قِيم المُنافسة على حساب قِيم التَّعاون. وعلى عكس من ذلك، يُعلّمنا القرآن أنَّ الحياةَ الجماعيَّة لا تزدهر إلَّا عندما يتعلّم الإنسان كيف يتخطَّى ذاته ليصل إلى الآخرين.

ثَانِيًا: مَجالَاتُ الإِيثَارِ والتَّعاونِ فِي الحَياةِ:

في الأُسرة، يجعل الإيثار الزوجين يُقدّمان مصلحةَ الأُسرة على المصالح الفرديَّة. حين يتنازل أحدهما من أجل راحة الآخر، أو حين

يعطي أحدهما من وقته أو جهده دون انتظار مقابل، فإنَّهما يخلقان بيتًا قائمًا على الرَّحمة لا على الحسابات. فعن الإمام الكاظم عليه السلام أنَّه قال: «إنَّ عيال الرجل أسراؤه، فمن أنعم الله عليه نعمةً فليوسع على أسرائه، فإن لم يفعل أوشك أن تزول تلك النعمة»[١]، وهذا الخير يتجلىَّ في الإيثار؛ لأنَّ أعظم صور العطاء هي تلك التي تحدث في الخفاء، داخل العلاقات الحميمة.

وفي المُجتمع، يجعل التَّعاون الأفراد يشعرون بأنَّ نجاحَهم مشتركٌ، وأنَّ الخيرَ إذا عمَّ، شمل الجميع. لهذا، نجد أنَّ الإسلام جعل التَّكافل الاجتماعي جزءًا من العبادة، وجعل الزكاةَ صورة من صور التَّعاون المُنظَّم الذي يضمن أن لا يسقط أحد من شبكة الأمان الجماعيَّة. لكنَّ التَّعاونَ الحقيقيَّ لا يقف عند حدود المال، بل يشمل العلم والوقت والجهد. حين تتقاسم معرفتك مع زميلٍ، أو تساعد جارًا في حمل أمتعته، أو تشارك في عملٍ تطوّعي، فأنت تمارس التَّعاون الذي أمر به القرآن. ومع ذلك، لا يكفي أن يكون التعاون عشوائيًّا، بل يجب أن يكون تعاونًا على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان. هذا التمييز القرآني يجعل التعاون مسؤوليَّة خُلُقِيّة؛ حيثُ لا يكون التعاون مبررًا لفعل باطل، ولا وسيلة لتحقيق مصلحة على حساب الحق.

---

١ - محمد بن علي القمي: من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٤٠٢.

ثَالثًا: الإِيثارُ وعلاقتُه بالإِيمانِ:

إنَّ الإيثار أيضًا هو دواء لأمراض النَّفس؛ لأنَّه يحرّر الإنسان من أسر الأنانيَّة، ويزرع فيه شعورًا بالسعادة التي تأتي من العطاء لا من الأخذ. كثيرًا ما يعتقد الناس أنَّ السعادة تأتي من التملُّك، لكن القرآن يعكس هذه المعادلة، ويجعل السعادة في البذل. فعن الإمام الصادق عليه السلام: «اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول»[١]، لأنَّ اليدَ التي تعطي هي يد مليئةٌ بالرَّحمة، أمَّا اليد التي تأخذ فهي يد تنتظر.

ثم يأتي القرآن ليُعلّمنا أنَّ الإيثارَ هو أيضًا صورةٌ من صور الوفاء لله. حين تعطي ممَّا تحب، فأنت تعلن أنَّ حبَك لله أكبر من حبك للمال أو للرَّاحة. ولهذا يقول -تعالى-: ﴿**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ٩٢]. هنا، يصبح الإيثارُ اختبارًا للحب الحقيقي؛ لأنَّ الإنسان يُعطي مما يعزّ عليه، لا مما يفيض عنه.

في نهاية الأمر، إنَّ اللإيثار والتعاون ليسا مجرّد قِيَم اجتماعية، بل هما ترجمة عمليَّة للإيمان؛ لأنَّهما يجعلان الحياة مساحة للعطاء المتبادل، حيثُ يشعر كل فرد بأنَّه جزء من كيان أكبر، وأنَّ سعادته ترتبط بسعادة الآخرين.

من جعل الإيثارَ والتَّعاونَ جزءًا من حياته، عاش في قلب المجتمع

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٤، ص١٨.

لا على هامشه، وكان لبِنةً في بناء جماعةٍ مُتماسكةٍ، لا فردًا معزولًا. إنَّهما الفضيلتان اللتان تصنعان من المجتمع أسرة كبيرة، ومن الأسرة مجتمعًا صغيراً، وكلاهما يعكسان روحًا قرآنية تجعل من الحياة طريقًا إلى الله من خلال خدمة خَلقِه.

◆ المَبحَثُ الرَّابِعُ:
حُسنُ الظَّن بالنَّاسِ.. بِناءُ الثِّقَةِ المُجتمَعيَّةِ وَفقَ القُرآنِ

أوَّلا: حُسنُ الظَّن بالآخَرِ في التَّصوُّر القُرآنيّ:

إنَّ حسن الظنّ بالنَّاس في الرؤية القرآنيَّة هو حجر الأساس الذي تُبنى عليه العلاقات الاجتماعيَّة السليمة. إنَّه الأصل الذي يحفظ النسيج الاجتماعي من التَّمزق، ويصون القلوب من الحقد وسوء الفهم. فالقرآن يُعلّمنا أنَّ الأصل في الإنسان البراءة حتى يثبت العكس، وأنَّ التسرّع في سوء الظنّ هو أول طريق إلى الفساد المجتمعي. يقول -تعالى-: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾ [الحجرات: ١٢].

لاحظ كيف لم يَنهَ الله عن كل الظَّنّ، بل عن كثيرٍ منه، لأنَّ الظُّنون السيّئة التي لا تستند إلى دليل هي التي تُفسد العلاقات. أمَّا حُسْنُ الظنّ فهو الذي يجعل الإنسان يبني مواقفه على الإنصاف لا على الشك.

ثَانيًا: مَجالَاتُ حُسنِ الظَّن بالآَخرِين في الحَياةِ:

في المُجتمع الحديث، كَثيراً ما تنهار العَلاقات بسبب إساءة الظَّنّ: تفسر كلمة بغير مقصدها، أو تحميل تصرُّف بسيط أكثر مما يحتمل. ولهذا، يعالج القرآن هذه المشكلة من جذورها، حين يأمرنا بالتثبّت قبل إطلاق الأحكام: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ [الحجرات: ٦]. التَّثبّت هنا ليس فقط في الأخبار، بل في كل ما يصل إلى الإنسان من أقوال وأفعال الآخرين.

في العلاَقاتِ الأُسريَّة، حُسْن الظنّ هو الحِصن الذي يحمي العائلة من التصدُّع. الزوج الذي يُحسن الظَّن بزوجته، والزوجة التي تُحسن الظَّن بزوجها، يبنون بيتًا قائمًا على الثقة؛ لأنَّ الشَّك هو أسرع طريق إلى الهدم. كثير من الخلافات الزوجية تبدأ من سوء ظنّ لا أساس له، ثم يتراكم ليصبح حاجزًا يصعب هدمه.

في العمل، حُسن الظَّنَ هو الذي يصنع بيئة صِحيَّة بين الزملاء. حين يفترض الإنسان أنَّ الآخر يريد الخير، فإنَّه يتواصل معه بوضوح، ويعالج المشاكل قبل أن تتفاقم. أمَّا حين يبني مواقفه على الشك والريبة، فإنَّه يعيش في توتُّر دائم، ويفسد العلاقات التي يمكن أن تكون مصدرًا للتعاون والإبداع.

فَحُسْنُ الظَّنّ بالنَّاس هو أيضًا أساس لصون أعراضهم. كم من سِيرة إنسان دُمرت بسبب شائعة لا أصل لها، وكم من علاقة انتهت بسبب

تفسيرٍ خاطئ. ولهذا يُحذرنا القرآن من أن نَحمل أفعال الآخرين على أسوأ وجوهها، ويعلّمنا أنَّ الأصل هو السلامة حتى يظهر ما ينفيها.

ثالثًا: هَل يعني حُسن الظَّن أن يَكونَ الإنسانُ سَاذَجًا؟

أبدًا. يعلّمنا القرآن أنَّ حُسنَ الظَّنّ لا ينفي التَّثبت والتَّحقق. أي ثِق بالله وبالنَّاس، لكن لا تهمل الحذرَ المشروعَ. حُسن الظَّن هو أن تبدأ بالتَّوقع الإيجابي، لكن مع الاحتفاظ بحكمة التَّحقق عند الحاجة.

يعلّمنا القرآن أيضًا أنَّ حُسنَ الظَّن هو انعكاس لحُسن الظَّن بالله. المؤمن الذي يثق برحمة الله وعدله، يرى الخيرَ في النَّاس؛ لأنَّ الله هو الذي خلقهم وزرع فيهم الفِطرة الصَّالحة. فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أميرُ المؤمنين عليه السلام في كلام له: «ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنَّن بكلمة خرجت من أخيك سوءًا وأنت تجد لها في الخير مَحمَلاً»[1]؛ لأنَّ الظَّن السيئ يبني قصورًا من الوهم، ثم يجعل الإنسان يعيش فيها كأنَّها حقيقة.

ومن أروع نماذج حُسن الظَّن التي يُقدّمها القرآن، قصة النبيّ يوسف عليه السلام، حين جاء إخوته إلى أبيهم يعقوب عليه السلام يطلبون أن يرسل معهم بنيامين، ورغم مرارة تجربته السابقة معهم، لم يغلق الباب في وجههم،

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص٣٦٢.

بل قال بحكمة: ﴿**هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ**﴾ [يوسف: ٦٤]. لقد كان متوجّسًا من تكرار الخيانة، لكنَّه لم يتهمهم مباشرة، بل أعطاهم فرصة، جامعًا بين الحذر وحُسن الظَّن.

في النهاية، حُسن الظَّن بالنَّاس ليس مجرّد سلوك اجتماعي، بل هو عبادة قلبيَّة تُريح النَّفس وتبني الثّقة وتزرع المحبَّة. فالإنسان الذي يُحسن الظَّن يعيش مرتاح القلب؛ لأنَّه لا يحمل الضَّغينة، ولا يُتعب نفسه بتحليل النوايا. والمجتمع الذي ينتشر فيه حُسن الظَّن، يُصبح مجتمعًا متماسكًا، تسوده المحبَّة بدل الشك، والثقة بدل الريبة.

ومن جعل حُسن الظَّن قاعدة حياته، صار محبوبًا بين النَّاس؛ لأنَّ القلوب تميل إلى من يرى الخير فيها. وصار قريبًا من الله؛ لأنَّ الله يحب القلوب التي تنظر إلى خلقه بعين الرَّحمة، لا بعين الاتهام. وإذا امتلأ قلب الإنسان بحُسن الظَّن، صار يضيء من داخله؛ لأنَّه يرى النُّور حتى في مواقف الظلام.

الفَصلُ الرَّابِعُ:

الدّينُ فِي القِيَمِ الإِنسَانِيَّةِ والسُّلُوكِ العَام

◆ المَبحَثُ الأَوَّلُ:
الدِّينُ والسُّلوكُ العام.. آدابُ الطَّريقِ والحَياةِ المُجتَمعيَّةِ فِي ضَوءِ القُرآنِ الكَرِيمِ

إنَّ الدّين في الرؤية القرآنيَّة ليس شأنًا فرديًا معزولاً، بل هو مَنهج حياة يتجلَّى في المجال العام بقدر ما يتجلَّى في المجال الخاص. فكما يظهر الإيمانُ في الصَّلاة والصيام، يظهر أيضًا في سلوك الإنسان في الطريق، وفي الأسواق، وفي الأماكن العامة. ولهذا، فإنَّ القرآن لا يفصل بين العلاقة مع الله والعلاقة مع الناس، بل يجعل من الأولى مقياسًا للثانية، حتى يصبح تعامل الإنسان مع الآخرين انعكاسًا مباشرًا لإيمانه.

حين يقول -تعالى-: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَـٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَـٰهِلُونَ قَالُوا سَلَـٰمًا**﴾ [الفرقان: ٦٣]، فإنَّه يُحدِّد أوَّل ملامح السلوك الإيماني في الحياة العامَّة: التَّواضع في المشي، والهدوء في التعامل، والصَّبر عند المواجهة. هنا، تصبح الطريقة التي تمشي بها في الطريق جزءًا من تديُّنك، والطريقة التي ترد بها على الإساءة اختبارًا لإيمانك. هذه هي الرؤية التي تجعل من السلوك العام ميدانًا لتجسيد

الإيمان، بحيثُ لا ينحصر التَّدين في العبادات، بل يمتد إلى الأخلاق العملية التي تحكم تعامل الإنسان مع الناس.

أوَّلا: لماذا يُركزُ القُرآن على الطَّريق والسُّلوكِ العام؟

لأنَّ الطَّريق هو المساحة المُشتركة الَتي يلتقي فيها الناس على اختلاف أديانهم وأعراقهم وأخلاقهم. والطريق هو المكان الذي تنكشف فيه الأخلاق الحقيقيَّة، بعيدًا عن التَّظاهر والرسميَّات.

إذاً، للطريق في الإسلام آداب ليست مجرّد إرشادات اجتماعيَّة، بل هي قِيَم دينيَّة عميقة. حين يقول القرآن: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**﴾ [النور: ٣٠]، فهو يُعلّمنا أنَّ غضَّ البصر ليس فقط حفظًا للحياء، بل هو أيضًا حفظ لكرامة الآخرين. وحين يحذّرنا من إيذاء الناس في الطريق، فإنَّه يربط السلوك الاجتماعي بالمسؤوليَّة الخُلُقِيّة، حتى تُصبح المحافظة على حقوق الآخرين جزءًا من العبادة.

ثَانيًا: لماذا تَنتَشرُ في مُجتمعَاتِنا مَظاهرُ سُوءِ السُّلوكِ في الأمَاكِن العَامَّة؟

السببَ هو أنَّ التَّدين أصبح شعائرَ منفصلةً عن الأخلاق. كثيرون يؤدُّون الصلوات لكنهم يُسيئون للنَّاس في الطَّريق، أو يحتلّون الأرصفة بسياراتهم، أو يرفعون أصواتهم في الأماكن العامة. وهذا هو التَّدين

الذي يذمُّه القرآن حين يقول: ﴿**كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ [الصف: ٣].

ثُمَّ يأتي القرآن ليضع قاعدةً ذهبيَّةً للسلوك العام، قاعدة تصلح لكل زمان ومكان: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ [البقرة: ٨٣]. لاحظ أنَّه قال «للنَّاس» ولم يقل «للمؤمنين»، ممَّا يعني أنَّ حُسن الخّلق في التعامل يشمل الجميع، مسلمين وغير مسلمين. وهذه القاعدة هي التي تجعل من الطريق مكانًا للأدَب، ومن السوق مكانًا للأمانة، ومن المجتمع كله ساحة للأخلاق الإيمانيَّة.

وإذا كان الطَّريق مكانًا لاختبار الأخلاق الفرديَّة، فإنَّ الالتزام بالقوانين العامة هو اختبار للأخلاق الجماعيَّة. حين يقول -تعالى-: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩]، فإنَّه يجعل احترامَ القوانين التي تُنظم الحياة العامَّة جزءًا من الطاعة الدينيَّة، بشرط أن تكون هذه القوانين قائمة على العدل. ولهذا، فإنَّ الالتزام بقوانين المرور، والمحافظة على المرافق العامة، واحترام النظام في الطَّوابير، كلها ممارسات دينيَّة بقدر ما هي مدنيَّة؛ لأنَّ الدين هو النظام الذي يُحقّق العدلَ في كل تفاصيل الحياة.

ثَالثًا: لِماذا يُهملُ كثيرٌ من النَّاسِ هذه القِيَم فِي الحَياة العَامَّة؟

السَّبَب هو غياب الإحساس بالمسؤوليَّة الجماعيَّة، وكأنَّ الدِّين

مسؤوليَّةٌ فرديَّةٌ فقط. بينما يضع القرآن الإنسان في قلب المجتمع، ويجعله مسؤولًا عن إصلاحه، فيقول: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ [آل عمران: ١٠٤]. لاحظ هنا أنَّ الأمرَ بالمعروف والنَّهي عن المنكر ليس مهمة العلماء فقط، بل هو مسؤوليَّةُ كل مؤمن يرى الخطأ في المجال العام.

رَابعًا: تَحذِيرُ القُرآنِ لآفَاتِ السُّلوكِ العَام:

ثم يأتي القرآن ليحذّر من واحدة من أخطر آفات السلوك العام: الفساد والإفساد. حين يقول -تعالى-: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾ [الأعراف: ٥٦]، فهو لا يتحدَّث فقط عن الإفساد السّياسي أو الاقتصادي، بل عن كل سلوك يدمر النظام العام، من رمي القُمامة في الشوارع، إلى تخريب الممتلكات العامة، إلى التعدّي على حقوق الآخرين في الفضاء المشترك. فكل هذه الأفعال هي صور من الإفساد الذي يكرهه الله، حتى لو كان فاعلها يُصلي ويصوم. ويصل القرآن إلى قمَّة الوُضوح حين يربط السُّلوك العام بمصير المجتمع كله. حين يقول -تعالى-: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١]، فهو يُؤكد أنَّ التَّغيير لا يبدأ من الحكومات، بل من سلوك الأفراد. فإذا أردنا أن نرى شوارع نظيفةً، وأسواقًا عادلةً، وطرقات آمنة، فعلينا أن نبدأ بتغيير سلوكنا نحن؛ لأنَّ المُجتمعات لا تتغير بالقوانين فقط، بل تتغيَّر بالأخلاق التي تُصبح

جزءًا من الضَّمير الجماعي.

إنَّ السُّلوك العام في القرآن الكريم هو اختبار يومي للإيمان. فهو يختبر صدقك في احترام النظام، وعدلك في التَّعامل مع الناس، وأمانتك في استخدام الموارد المشتركة، وصبرك في مواجهة إساءة الآخرين. وإذا أردنا أن نعيد للدين حضوره في حياتنا اليومية، فعلينا أن نبدأ من هذه المساحات الصغيرة التي تظهر فيها الأخلاق الحقيقيَّة: في الطريق، وفي السوق، وفي الحافلة، وفي كل مكان يجتمع فيه الناس. عندها فقط، يُصبح الدّين نورًا يُضيء حياتَنا، ويُصبح الإيمان حقيقةً نعيشها، لا شعارًا نرفعه.

◆ المَبحَثُ الثَّانِي:
النَّظَافَةُ والطَّهَارَةُ فِي الحَياةِ اليَومِيَّةِ.. رُؤيَةٌ قُرآنِيَّةٌ مُتكَامِلَةٌ

أوَّلًا: مَفهومُ الطَّهارَةِ والنَّظَافَةِ فِي القُرآنِ:

النَّظافة في التَّصوُّر القرآني ليست مجرّد مظهر خارجي، بل هي قيمةٌ روحيَّةٌ وسلوكيَّةٌ تعبر عن صفاء الإنسان في علاقته مع ربّه، ومع نفسه، ومع مُحيطه. لهذا، فإنَّ القرآن يجعل من الطهارة جزءًا من الإيمان، ويضعها في قلب الحياةِ اليوميَّةِ، بحيثُ تُصبح سلوكًا مستمرًّا يظهر في الجسد والملبس والمكان، وحتى في القلب والفكر.

حين يقول -تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:

٢٢٢]، فهو لا يُقدّم الطَّهارة كواجب، بل كطريق إلى محبَّة الله، ممَّا يجعلها قيمةً تتجاوز الشكل إلى الجوهر. لاحظ كيف يربط بين التَّوبة والطَّهارة، وكأنَّ النَّظافة الحقيقيَّة تبدأ من الداخل قبل أن تظهر في الخارج. هذه الرؤية تجعل من النَّظافة أسلوب حياة، لا مجرد عادة موسميَّة أو ظرفيَّة.

إنَّ أوَّلَ ما يعلّمه القرآن في مفهوم الطَّهارة هو أنها جزء من الاستعداد للوقوف بين يدي الله. يقول -تعالى-: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ**﴾ [المائدة: ٦]. الوضوء هنا ليس مجرّد غسل للأعضاء، بل هو طقس يهيّئ الجسد والروح معًا للقاء الله. ولهذا، فإنَّ من يحافظ على وضوئه كأنَّه يحافظ على اتصال روحه بالله طوال اليوم.

لكنَّ النَّظافة في القرآن تتجاوز حدود العبادات لتشمل كل تفاصيل الحياة. حين يقول -تعالى-: ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ [المدثر: ٤]، فهو يُعلّمنا أنَّ نظافة المظهر ليست أمرًا ثانويًّا، بل هي انعكاس لاحترام الإنسان لنفسه ولمن حوله. ولهذا، كان النبي ﷺ مثالاً في النَّظافة، حتى أنَّه كان يُحب الطِيب، ويكره الروائح الكريهة، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «إنَّ الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثرَ النّعمة على عَبدِه»[1].

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٦، ص٤٣٨.

ثم ينتقل القرآن إلى مستوى أعمق من الطهارة: طهارة القلب. فالإنسان قد يكون نظيفًا في ملبسه لكنه يحمل قلبًا مليئًا بالحقد أو الكذب أو النفاق. لهذا، يدعو القرآن إلى تطهير القلب قبل الجسد، حين يقول: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، والثياب هنا ليست فقط الملابس، بل هي استعارة للنفس والسلوك. ولهذا، كان النبي ﷺ يقول: «إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[١].

ثَانِيًا: لماذا تكثُرُ مَظاهِرُ التَّلوثِ والفَوضى في مجتمعاتٍ تدَّعي التَّدَيُّن؟

السَّبب هو أنَّ التديّن أصبح شعائر منفصلةً عن القِيَم. كثيرون يُصلُّون في المساجد لكنهم يتركونها متسخة، أو يرمون القمامة في الشوارع، وكأنَّ النَّظافة شيءٌ خارج الدين. وهذا هو الانفصام الذي يرفضه القرآن حين يجعل الطهارةَ جزءًا من العِبادة نفسها، حتى أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «الوضوء شطر الإيمان»[٢].

ثُمَّ يأتي القرآن ليؤكّد أنَّ النَّظافة ليست مسؤوليَّة فرديَّة فقط، بل هي

---

١ - محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص ٥٣٦.

٢ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٣، ص٧٢.

مسؤوليَّة جماعيَّة ومجتمعيَّة. حين يحذّر من الفساد في الأرض، يقول: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾ [الأعراف: ٥٦]. لاحظ هنا أنَّ الإفساد يشمل كل سلوك يُلوّث البيئة أو يدمر الموارد الطبيعيَّة. فمن يرمي القمامة في الشارع، أو يُلَوّث الماء، أو يدمّر الأشجار، فهو مُفسد في الأرض، حتى لو كان يؤدّي كل العبادات.

ثَالثًا: كَيف نَجعلُ النَّظافةَ جزءًا من حياتِنا اليَوميَّة وفق القُرآنَ؟

تبدأَ الإجابة من استشعار أنَّ كُلَّ مساحةٍ مشتركةٍ هي أمانة. حين نجلس في حديقةٍ عامَّةٍ، أو نُصلّي في مسجدٍ، أو نمشي في شارع، فهذه كلها مساحات يشترك فيها الجميع، ومن يتركها متسخة فهو يخون الأمانة التي أمره الله بحفظها. ولهذا، فإنَّ القرآنَ حين يأمرنا بالأمانة يقول: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ**﴾ [النساء: ٥٨]. والنظافة في المجال العام هي من أكبر الأمانات، لأنَّها تمس حياة الجميع.

ثُمَّ يأتي القرآنُ ليجعلَ النَّظافةَ أسلوب حياة متكامل، يشمل حتى الغذاء والصحة. حين يقول: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا**﴾ [الأعراف: ٣١]، فهو يُعلّمنا أنَّ الغِذاءَ جزءٌ من طهارة الجسد، وأنَّ الإسراف في الطعام أو الشراب ليس فقط سلوكًا خاطئًا، بل هو سلوك يخالف روح الطهارة التي يدعو إليها القرآن. ولهذا، فإنَّ الحفاظ على الصّحة،

وممارسة الرياضة، والاهتمام بالنظافة الشخصيَّة، كلها تصبح عبادات إذا ارتبطت بِنِيَّة طاعة الله في الحفاظ على الأمانة التي وهبنا إياها: الجسد.

رَابعًا: لِماذا تَنتَشرُ فِي مُجتمعَاتِنا مَظاهِرُ الإِهمالِ للنَّظَافة؟

السَّبب هو أنَّ كثيراً من النَّاس حصَروا الدِّين في الطقوس، ونَسوا أنَّه منهج حياة. ولهذا، فإنَّ الحلَّ ليس في القوانين فقط، بل في إعادة ربط الناس بالمعنى الروحي للنَّظافة، بحيثُ يشعر الإنسان أنَّ تنظيفَ الشَّارع عبادة، وأنَّ الحفاظَ على المرافق العامَّة صدقةٌ، وأنَّ كُلَّ فعل يحفظ الجمال هو جزء من حب الله؛ لأنَّ الله يُحب الجمال.

النَّظافة والطَّهارة في الرؤية القرآنيَّة ليست أمرًا ثانويًّا، بل هي جزء من هُويّة المسلم وشخصيته. إنَّها تبدأ من الجسد وتمتدُّ إلى القلب، ومن البيت إلى الشَّارع، ومن الفرد إلى المُجتمع. وإذا أردنا أن نُعيدَ للنَّظافة مكانتها في حياتنا، فعلينا أن نعيدَها إلى قلب الدّين؛ بحيثُ تصبح جزءًا من سلوكنا اليومي؛ لأنَّ الإنسان الذي يعيش مع القرآن يجب أن يعكسَ جمالَ القرآن في مظهره، وسلوكه، وأفعاله. وعندها، تصبح النَّظافة ليست مجرّد عادة، بل تصبح عبادة، وتصبح الطهارة ليست مجرد شكل، بل تُصبح جوهرًا يعكس نور الإيمان في كل تفاصيل الحياةِ.

◆ المَبحَثُ الثَّالثُ:
الحِفَاظُ عَلَى البِيئَةِ فِي ضَوءِ القُرآَنِ الكَرِيمِ.. مَسؤُوليَّةُ الإِنسَانِ وَاستِخلافِهِ فِي الأَرضِ

إنَّ البيئة في التَّصور القرآني ليست مجرّد مورد طبيعي، بل هي أمانة وهِبة إلهيَّة أودعها الله بيد الإنسان ليعمرها ويحافظ عليها. يجعل القرآن من العلاقة مع الأرض جزءًا من التَّدين، بحيثُ يُصبح الحفاظ على البيئة عملاً عباديًّا يعبر عن فهم الإنسان لمسؤوليته كخليفة لله في الأرض. يقول -تعالى-: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ [هود: ٦١]، فالاستخلاف هنا ليس تملُّكًا للأرض، بل هو تكليف بالعناية بها.

أوَّلا: لِماذا تَتدَهورُ البِيئةُ رغم تَقدُّم العِلم وتَعدُّد القَوانين؟

السَّبب هو أنَّ الإنسان فقد علاقته الرُّوحية بالأرض. لقد أصبح يرى الطبيعة موردًا للاستغلال لا شريكًا في الحياة. ولهذا، فإنَّ القرآن يعالج الأزمة البيئيَّة من جذورها؛ لأنه يربط علاقة الإنسان بالأرض بعلاقته بالله. حين يقول -تعالى-: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾[الأعراف: ٥٦]، فهو يجعل الإفساد في الأرض خطيئةً دينيَّةً قبل أن تكون مخالفةً قانونيَّةً. لاحظ أنَّ الله قال «بعد إصلاحها»، مما

يعني أن الأصل في الأرض هو التوازن، وأنّ أي تدخل بشري يجب أن يحفظ هذا التوازن لا أن يُدمّره.

إنَّ أوَّل ما يُعلّمه القرآن في مفهوم الحفاظ على البيئة هو مبدأ التوازن والاعتدال. فالكون قائم على نظام دقيق، يقول -تعالى-: ﴿**وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ**﴾ [الرحمن: ٧-٨]. التوازن هنا ليس مجرّد قانون فيزيائي، بل هو قاعدة أخلاقيَّة تحكم علاقة الإنسان بالطبيعة. كلُّ تجاوز لهذا الميزان، سواء بالإسراف في استهلاك الموارد أم بتلويث الهواء والماء، هو نوعٌ من الطُّغيان الذي يرفضه القرآن.

ثانيًا: كَيف يَظهرُ الحفاظ على البِيئَةِ في حَياتِنا اليَوميَّةِ؟

يبدأ القُرآن من السلوك الشخصي البسيط، مثل ترشيد الاستهلاك. يقول -تعالى-: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا**﴾ [الأعراف: ٣١]. لاحظ أنَّ الإسراف هنا يشمل كل شيء: الطعام، الماء، الطاقة. فحين نترك الصنبور مفتوحًا دون حاجة، أو نستهلك الكهرباء بلا وعي، نحن نمارس سلوكًا يُخالف أمر الله بعدم الإسراف.

ثُمَّ ينتقل القرآن إلى المسؤوليَّة الجماعيَّة، حين يَحذّر من الفساد الذي يتسبب به الإنسان في الطبيعة: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**﴾ [الروم: ٤١]. لاحظ هنا أنَّ القرآن يُحمّل الإنسان مسؤوليَّة مباشرة عن الكوارث البيئيَّة، سواء أكانت تلوثًا، أم تدهورًا للغابات، أم

انقراضًا للحياة البريَّة. فالفساد هنا ليس فقط فسادًا خُلُقِيًّا، بل هو أيضًا فساد بيئي ناتج عن الجشع والطمع والاستهلاك المُفرط.

ثَالِثًا: لماذا يفشلُ كثيرٌ من النَّاس في الحِفاظِ على البِيئةِ رغم مَعرفَتهم بأهمّيتها؟

السَّبب هو أنَّ العلاقةَ مع البيئة أصبحت علاقة ماديَّة لا روحيَّة. يرى الإنسان المُعاصر الأشجار كمورد للأخشاب فقط، والأنهار كمصدر للطَّاقة فقط، والهواء كوسيلةٍ لنقل الطَّائرات فقط. بينما يُعيدنا القرآن إلى رؤية الطبيعة كآية من آيات الله. حين يقول -تعالى-: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا**﴾ [السجدة: ٢٧]، فإنَّه لا يُعلِّمنا فقط عن دورة الماء، بل يعلِّمنا التَّأمل والشُّكر والإحساس بعظمة هذا النظام الإلهي.

ثم يأتي القُرآن ليُؤسّس لمبدأِ الحِفاظ على التَّنُوع البيئي. حين يقول:﴿**وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ**﴾ [الذاريات: ٤٩]، فإنَّه يُشير إلى أنَّ التَّنوع في الكائنات الحيَّة هو جزءٌ من التَّوازن الكوني، وأنَّ تدميرَ هذا التَّنوع، مثل إبادة الأنواع الحيوانيَّة أو قطع الغابات، هو إخلال بالنظام الذي وضعه الله. ولهذا، فإنَّ الحفاظَ على الكائنات الحيَّة ليس رفاهيَّة بيئيَّة، بل هو التزام ديني.

ولأنَّ القرآنَ يجعل الحفاظ على البيئة مسؤوليَّة جماعيَّة، فإنَّه يدعو

إلى التَّعاون في كل ما يحفظ الحياة. يقول -تعالى-: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ**﴾ [المائدة: ٢]. فإقامة حملات تنظيف وغرس الأشجار وترشيد استهلاك الموارد، كلها أشكال من التعاون على البر والتقوى.

رَابعًا: كَيف يُصبحُ الحِفاظ على البِيئةِ جُزءًا من تَدَيُّننَا اليَوميّ؟

يُعلِّمنا القرآنُ أنَّ كُلَّ سلوك مهما كان صغيرًا، إذا اقترن بنيَّةٍ صالحةٍ، يُصبح عبادةً. إطفاء مصباح زائد بِنِيّة عدم التَّبذير هو عبادة. غرس شجرة بِنِيّة إعمار الأرض هو صدقة جارية. المحافظة على نظافة الحي بِنِيّة حفظ الجمال الذي خلقه الله هو قُربة إلى الله.

ثُمَّ يأتي القرآن ليضع قاعدةً ذهبيَّةً في التَّعامل مع الموارد الطبيعيَّة: ﴿**وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأنعام: ١٤١]. هذا يعني أنَّ ترشيد الماء، والحفاظ على الطاقة، وعدم الإفراط في الاستهلاك، كلها سلوكيَّات دينيَّة تعكس التزام الإنسان بروح القرآن.

إنَّ الحفاظ على البيئة في ضوء القرآن الكريم ليس قضية بيئيَّة فقط، بل هو قضيَّة إيمانيَّة وخُلُقِيّة. إنَّه جزء من عِبادة الله التي تتجلَّى في احترام النظام الذي وضعه في الكون.

وإذا أردنا أن نجعل الدّين حاضرًا في حياتِنا اليَوميَّة، فعلينا أن نبدأ من هذه المساحات العمليَّة التي تظهر فيها أخلاقنا الحقيقيَّة: في تعاملنا مع الماء والأرض والشجر والهواء. وعندها، يصبح الحفاظ

على البيئة ليس مجرد واجب قانوني، بل عبادة يتقرب بها الإنسان إلى ربه، لأنَّه يحفظ الأمانة التي استودعها الله بيده.

◆ المَبحَثُ الرَّابِعُ:
التَّواضُعُ فِي ضَوءِ القُرآنِ الكَرِيمِ.. جَوهَرُ العَظَمَةِ الإِنسَانِيَّةِ

إنَّ التَّواضُع في الرُّؤية القرآنيَّة ليس انكسارًا ولا ضعفًا، بل هو تاجُ الأخلاقِ وعُنوانُ العظمةِ الحقيقيَّة. إنَّه الفضيلةُ التي تجعل الإنسانَ كبيراً بعطائه، عظيمًا بقلبه، وقويًّا بتواضُعه. يقول -تعالى-: ﴿**وَلَا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا**﴾ [الإسراء: ٣٧].

هذه الآية تَهُزُّ غُرور الإنسان وتضعه أمام حقيقته: مهما عَلت مكانتُك، فلن تخترق الأرض بعظمتك، ولن تُناطح الجبال بسلطانك. فكلمَّا ازدادت مكانتك، وجب أن يزداد تواضُعُك؛ لأنَّ التَّكبرَ هو سقوطٌ خفيٌّ مهما بدا مرتفعًا.

أَوَّلًا: التَّواضُعُ فِي القُرآن مِيزَانُ الإِنسَانِ الحَقِيقيّ

إنَّ التَّواضع في القرآن ليس سلوكًا اجتماعيًّا فقط، بل هو انعكاس لعلاقة الإنسان مع الله. حين يقول -تعالى-: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَـٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا**﴾ [الفرقان: ٦٣]، فهو يصف عباد الله بأنَّهم يسيرون بسكينةٍ

لا باستعلاء. إنَّهم يحملون في قلوبِهم عظمة الروح، لا غرور النَّفس.

لاحظ أنَّ القرآن يصفهم أوَّلاً بمشيتهم، لأنَّ طريقةَ سير الإنسان تكشف عن طبيعته الدَّاخليَّة. المتُكبر يمشي وكأنَّ الأرض ملكه، أمَّا المتُواضع، فكل خطوة له سلامٌ مع الأرض ومن عليها.

ثانيًا: لِماذا يَصعُب علينا التَّواضُعُ؟

لأنَّنا نَخلط بين التَّواضع والضَّعف، وبين الكبرياء والقوَّة. يميل المجتمع إلى تمجيد المتعالي وصاحب الصوت العالي، بينما القرآن يعكس هذه المعادلة، فيجعل المتواضع هو الأقوى حقًّا، لأنَّه انتصر على غروره، والكريم هو الأعظم، لأنَّه يعطي دون أن ينتظر الشُّكر.

ثالِثًا: التَّواضُع في العَلاقَاتِ اليوميَّةِ:

١. في الأُسرة: إنَّ التَّواضعَ هو أَنْ تسمع قبل أن تحكم، وأن تعتذر إذا أخطأت، ولو كنت الأب أو الأم.

٢. في العمل: إنَّ التَّواضع هو أن تشكر من يعمل معك، ولو كان في أدنى السُّلم الوظيفي.

٣. في الصَّداقة: إنَّ التَّواضع هو ألَّا تجعل مكانتك أو علمك حائطًا بينك وبين أصدقائك.

كان يجلس النَّبي ﷺ مع أصحابه كواحد منهم، حتَّى أنَّ الدَّاخل

إلى المجلس لا يعرف من هو النَّبي حتَّى يسأل. فممَّا ورد من وصف النبيُّ ﷺ على لسان أمير المؤمنين عليه السلام: «لقد كان صلى الله عليه وآله يأكل على الأرض، ويجلس جِلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويُرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري ويُردف خلفه»[1]. هذا هو التَّواضع الذي يصنع العظمة الحقيقيَّة.

رَابِعًا: التَّواضُع أمامَ العِلم والمَعرِفة:

من مظاهر التَّكبر الخفيَّة أن يظُّن الإنسان أنَّه يعلم كل شيء، بينما يجعل القرآن العلم الحقيقي يبدأ بالتَّواضع: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]. حتَّى النَّبي موسى عليه السلام، رغم مكانته، ذهب ليتعلَّم من العبد الصالح؛ لأنَّ العالِمَ الحقيقيَّ هو من يظلّ طالبًا مهما علا علمه.

خَامِسًا: التَّواضُعُ أَمامَ الله: جَوهَرُ العُبُودِيَّةِ

أعظم أنواع التَّواضع هو التَّواضع أمام الله، حين تركع له بقلبٍ خاشعٍ، وتعترف بضعفك أمام قُدرته. ولهذا، فإنَّ الصَّلاةَ هي مدرسةُ التَّواضع، لأنَّها تسجد بك لله، فتُذكرك أنَّ جبهتك التي ترتفع أمام النَّاس، يجب أن تنخفض أمام خالقك.

---

١ - الشريف الرضي: نهج البلاغة، ج٢، ص٥٩.

سَادِسًا: كَيف نَزرعُ التَّواضعَ في حَياتِنا؟

١. انظر إلى النَّاس بعين الرَّحمة، لا بعين المقارنة.
٢. تَحدَّث بلغة بسيطة يفهمها الجميع، وابتعد عن التَّصنُّع.
٣. اعترف بخطئك، فالاعتراف شجاعة لا تُنقص من قِيمتك.
٤. تعلَّم من كُل شخص، مهما كان بسيطًا، فالحِكمة لا تأتي فقط من الكُتب.

سَابِعًا: لماذا يَحتاجُ العالَمُ إلى التَّواضُع اليَوم؟

١. لأَنَّ التَّكبرُ هو أصل مُعظم أزمات العالَم.
٢. تبدأ الحُروب عندما يظن أحدهم أنَّه فوق الآخر.
٣. يبدأ الظُّلم عندما يرى الظَّالمُ نفسه فوق القانون.
٤. يبدأ الفساد عندما يشعر المسؤول أنَّه فوق المحاسبة.

أمَّا التَّواضع، فهو الذي يبني الجسور بين القلوب، ويجعل من الاختلاف حوارًا، ومن التَّنوع رحمة، ومن السُّلطةِ مسؤوليَّة.

إنَّ التواضع في القرآن الكريم هو سر العظمة الحقيقيَّة. إنَّه ليس أنْ تنحني للآخرين، بل أنْ ترتفع فوق غُرورك. وليس أنْ تتنازل عن حقك، بل أن تُعطي غيرك حقَّه. وإذا أردنا أنْ نعيشَ الدّين في حياتنا، فعلينا أنْ نحمله في قلوبِنا، ونجعله يظهر في أبسط تفاصيلنا، في كلماتنا، وفي تصرُّفاتنا وفي نَظرتنا للآخرين. لأنَّ المتواضع، حتى لو لم يتحدَّث عن

إيمانه، فإنَّ إيمانَه يتحدَّث عنه في كُلّ حركةٍ وكُلّ كلمةٍ.

◆ المَبحَثُ الخَامسُ:
العَدلُ والإِنصَافُ.. إِقَامةُ مِيزَانِ الحَقّ فِي الحَياةِ اليَومِيَّةِ

إنَّ العدل في التَّصوُّر القرآني هو جوهر الحياةِ الإنسانيَّةِ، وأساس بناء المُجتمعات الصَّالحةِ. إنَّه القِيمة التي تزن بها العَلاقات، وتَصون بها الحقوق، وتمنح لكل ذي حق حقه دون ميل أو تحيُّز. إنَّ العدل في القرآن ليس مجرّد حكم قضائي، بل هو مبدأ إلهي يشمل كل تفاصيل الحياة، من أصغر المعاملات إلى أكبر القضايا. يقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**﴾ [النحل: ٩٠]. لاحظ أنَّ اللهَ أمر بالعدل قبل الإحسان؛ لأنَّ العدلَ هو الحد الأدنى الذي لا تقومَ الحياةُ بدونه، أمَّا الإحسان فهو الفضل الذي يزيد فوق العدل، لكن لا يُغني عنه.

في حياتنا اليوميَّة، يظهر العدل في كل موقف نتَّخذه: في الحكم بين أبنائنا، في تعامُلنا مع زملائنا، في بيعنا وشرائنا، بل حتى في طريقة حديثنا عن الآخرين. يقول -تعالى-: ﴿**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ**﴾ [الأنعام: ١٥٢]. فالعدل هنا ليس فقط في الحكم، بل حتَّى في الكلمة التي نقولها عن الناس.

أَوَّلًا: لماذا يَغيبُ العدلُ أحيانًا رغم وُضوح أهميَّته؟

السَّببِ هو أنَّ العدلَ يتطلَّب قوَّةً نفسيَّةً لمواجهة الأهواء، والشَّهوات، والضغوط الاجتماعيَّة. كثيرون يَظلِمون لأنَّهم يخشون غضبَ القريبِ أو طمعًا في مصلحةٍ أو خوفًا من خسارة. ولهذا كان العدلُ اختبارًا للإيمان قبل أن يكونَ مُجرَّد خلق اجتماعي.

يجعل القرآن العدلَ قيمةً مطلقةً، فلا يقبل أنْ يخضعَ للهوى، حتى لو كان ذلك في مُواجهة النَّفس أو الأهل. يقول -تعالى-: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ**﴾ [النساء: ١٣٥]. هذا هو قمة العدل، أن تقفَ مع الحق حتى لو كان ذلك ضدَّ نفسك أو أقرب الناس إليك.

ثَانِيًا: العَدلُ فِي مَجالَاتِ حياتنا ومَيادِينِها

فيِ الأُسرة، العدل هو أساس الحُب الحقيقي. فلقد «نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى رجل له ابنان فقبَّل أحدهما وترك الآخر، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: فهلاَّ واسيت بينهما»[1]، فهو يُعلّمنا أنَّ المَحبةَ الحقيقيَّةَ للأبناءِ تبدأ بالعدل بينهم. كم من خلافات أُسريَّة بدأت لأنَّ أحدَ الوالدين مال إلى ولدٍ على حساب الآخر؟ إنَّ العدل في

---

١ - محمد بن علي القمي: من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص٤٨٣.

الأُسرة لا يعني فقط تقسيم المال بالتَّساوي، بل يعني أنْ يكونَ لكل فرد حقه وفق حاجته وظروفه، وهذا هو الإنصاف الذي هو جزء من العدل.

في العمل، العَدل هو أنْ تعطي كُلَّ موظف حقَّه، دون تأخّر أو مُماطلة أو تسويف. فعن أبي عبد الله عليه السلام في الحمَّال والأجير قال: «لا يجف عرقه حتى تعطيه أجره»[١]. والعدل في العمل لا يتوقف عند دفع الأجر، بل يمتد إلى احترام الجهد، وتقدير الإبداع، ومنح الفرص بالتساوي.

وفي القضاء والمُعاملات، العدل هو أنْ تحكمَ بالحق دون النَّظر إلى هويَّة المُتخاصمين. فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان لأم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أَمَة فسرقت من قوم فأتي بها النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم فكلَّمته أم سلمة فيها، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا أم سلمة هذا حدٌّ من حدود الله عزَّ وجلَّ لا يضيع، فقطعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[٢]. وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «كان أسامة بن زيد يشفع في الشئ الذي لا حدَّ فيه فأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإنسان قد وجب عليه حد فشفع له أسامة فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يشفع في حد»[٣]. هذا هو العدل الذي لا يعرف المُحاباة.

لكنَّ العدلَ لا يقف عند المحاكم والعَلاقات العامَّة، بل هو أيضًا في

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٥، ص٢٨٩.

٢ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٧، ص٢٥٤.

٣ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٧، ص٢٥٤.

علاقتك بنفسك. كم من النَّاس يَظلِمون أنفسهم إمَّا بإهمالها أو بإجهادها فوق طاقتها؟ يعلّمنا القرآن أنَّ العدل يبدأ من الدَّاخل، في تحقيق التوازن بين الجسد والرُّوح، وبين العمل والرَّاحة، وبين العبادة والحياة. يقول -تعالى-: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

العدل في القُرآن يتَّسع ليشمل علاقتنا بالطبيعة أيضًا. حين يقول -تعالى-: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، فهو يضع ميزانًا حتَّى في تعامُلنا مع البيئة. فلا يجوز أن نأخذ من الأرض أكثر ممَّا تحتاجه حياتنا، ولا أن نستهلك مواردها بشكلٍ يفسد توازنها.

إنَّ غياب العدلِ هو أوَّل طريق لانهيار المجتمعات. يعرض القُرآن لنا كيف أنَّ ظُلمَ فرعون وقومه كان سبب هلاكِهم، وكيف أنَّ الأُمم التي ملأها الفساد انتهت إلى زوال. يقول -تعالى-: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُم لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [الكهف: ٥٩]. فالظُّلم سواء أكان في الحكم أم في التجارة أم في العلاقات، هو أوَّل مسمار في نعش أي حضارةٍ.

ثالثًا: هل يُمكن للإنسانِ أن يَكونَ عادلًا دائمًا؟

يُعلّمنا القرآن أنَّ الإنسان قد يُخطئ في ميزانه، ولهذا جعله يدعو إلى الإنصاف مع الآخرين إذا تعذَّر العدلُ المُطلق. يقول -تعالى-: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. فالعدل هو الغاية، لكنَّ الإنصافَ هو الطريق إذا عجز الإنسان عن تحقيق الكمال المطلق.

لهذا كان النَّبيُّ ﷺ –نقلًا عن أمير المؤمنين عليه السلام- يقول: «إصلاح

ذات البين أفضل من عامَّة الصَّلاة والصَّوم»[١]؛ لأنَّه أحيانًا يكون الإنصاف في التَّنازل من أجل إصلاح العَلاقة، وليس في التَّمسُّك الحرفي بالحقوق.

في النهاية، العدل ليس شعارًا، بل هو طريقة حياةٍ تبدأ من أصغر التَّصرفات إلى أكبرها. حين تُعطي الطريق حقه، وحين تُنصف في حديثك، وحين تؤدي عملك بإتقان، فأنت تمُارس العدل. والقرآن يجعل العدل ميزانًا للأفراد والجماعات، ويجعل من غيابه سببًا للانهيار.

ومن جعل العدل ميزانه، عاش في سلام مع نفسه ومع النَّاس. ومن حمل العدلَ في قلبه، حمل نورًا يهديه في ظلُمات الحياة؛ لأنَّ العدلَ هو الميزان الذي قامت به السماوات والأرض، وحين تحمله في حياتك، تُصبح حياتك جزءًا من هذا الميزان الكوني الذي أراده الله للإنسان.

---

١ - محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص٥٢٢.

الفَصلُ الخَامِس:
الدّينُ وَتَنظِيمُ الحَياةِ العَمَلِيَّةِ واليَومِيَّةِ

◆ المَبحَثُ الأَوَّلُ:
الدّينُ والمَالُ.. القِيَمُ القُرآنِيَّةُ في التَّعامُلاتِ المَالِيَّةِ والمَعِيشة اليومِيَّةِ

إنَّ المال في التَّصوُّر القُرآني هو جزءٌ من منظومة الحياة المُتكاملة التي تربط بين الدنيا والآخرة، وبين المادَّة والرُّوح، وبين الفرد والمُجتمع. إنَّه أمانة في يد الإنسان ووسيلة للاختبار ومجال واسع لتطبيق القِيم الإيمانيَّة. فالقرآن الكريم لا ينظر إلى المال كمجرَّد أداةٍ للمعيشةِ، بل كعُنصر جوهريّ تتجلى فيه معاني الشُّكر والتَّوازن والإيثار والعدالة. ولهذا، ربط الله المال بالإيمان، فقال -تعالى-: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾. [القصص: ٧٧].

هذه الآية تُلخص الرُّؤية القرآنيَّة المتوازنة للمال: فهو وسيلةٌ للعمران في الدنيا، وجسر إلى الفوز بالآخرة. ليست المشكلة في امتلاك المال، بل في كيفيَّة التَّعامل معه: هل يُصبح المال أداة للبناء أم وسيلة للفساد؟ هل يؤدي إلى البرِ أم إلى الطُّغيان؟

أوَّلًا: المَالُ بينَ النّعمَة والاختِبَار

يُصوّر القرآن الكريم المالَ بأنَّه نعمةٌ عظيمةٌ واختبارٌ دقيقٌ وأنَّه:

١. نعمة تحتاج إلى شُكر، يقول -تعالى-: ﴿**اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ**﴾. [الروم: ٤٠] هنا يؤكّد الله أنَّ الرزق هو عطيَّةٌ منه، تستوجب الامتنان من خلال حسن الاستخدام.

اختبار يتطلب حكمة في الكسب والإنفاق، يقول -تعالى-: ﴿**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾. [التغابن: ١٥].

٢. المال فتنةٌ، بمعنى أنَّه يكشف معادن النفوس: فمنهم من يبخل، ومنهم من يُسرف، ومنهم من يتوازن.

ثانِيًا: أخلاقُ كَسب المال في القُرآن (العمل والتجارة والإنتاج):

يضع القرآن ضوابطَ خُلُقيّة واضحة لكسب المال، ويجعل العمل والإنتاج أساسًا لحياةٍ اقتصاديَّة سليمة.

١. العمل عبادة ومسؤوليَّةٌ: يقول -تعالى-: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ**﴾. [الجمعة: ١٠]. هذه الآية تربط بين العبادة والعمل، وكأنَّها تقول: كما تسعى لإقامة الصلاة، اسعَ لإقامة حياتك بجهد شريف.

٢. التجارة المشروعة أساس للاقتصاد الحلال: يقول -تعالى-: ﴿**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾. [البقرة: ٢٧٥].

٣. البيع الحلال يقوم على التراضي، والشفافية، والصدق، ويحقق الربح العادل للطرفين.

ثَالثًا: تَحريمُ المالِ الحرامِ.. حِمايَةُ المُجتمعِ من الفَسَاد الاقتصَادِي

يُحذِّر القرآنُ من طُرق الكسب التي تُفسد المجتمعَ، ويفرض سياجًا من القِيَم الخُلُقِيّة تحمي العلاقات الاقتصاديَّة من الجشع والظلم:

١. تحريم الربا: يقول -تعالى-: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا**﴾. [البقرة: ٢٧٨]. فالربا يجعل المال وسيلةً للاستغلال بدل أن يكون أداةً للتنميَّة، ولهذا وصف القرآن المتعاملين بالربا بأنَّهم يقومون ﴿**كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ**﴾ [البقرة: ٢٧٥].

٢. تحريم الغش والاحتكار: يهدم الغش الثّقة بين النَّاس، ولهذا ورد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لرجل يبيع التَّمر: «يا فلان أما علمت أنَّه ليس من المسلمين من غشهم»[1]. وعنه (عليه السلام) قال: «ليس منَّا من غشَّنا»[2]. أمَّا

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٥، ص١٦٠.

٢ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٥، ص١٦٠.

الاحتكار، فإنَّه يحرم الناس من حقوقهم، وهو سبب لتفاقم الأزمات الاقتصاديَّة.

٣. تحريم أكل أموال الناس بالباطل: يقول -تعالى-: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾. [البقرة: ١٨٨].
تشمل هذه الآية كُلَّ صور الاعتداء المالي، من السَّرقة إلى الغصب إلى الاحتيال.

رَابِعًا: الإِنفاقُ في القُرآنِ (المالُ بين الحقّ الشَّخصيّ والحقّ المُجتمعيّ):

في الرُّؤية القرآنيَّة، المال ليس ملكيَّةً مُطلقةً للفرد، بل فيه حقوق للآخرين، ولهذا جعل الله الإنفاق جزءًا من العبادة. وفق الموارد والمصارف الآتية:

١. **الزَّكاة:** حقُّ الفقير في مال الغني: يقول -تعالى-: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾. [الذاريات: ١٩].
فالزَّكاة ليست مجرّد إحسان، بل هي نظامٌ اقتصاديٌّ يُعيد توزيعَ الثَّروة، ويُحارب التَّفاوت الطبقي، ويُحقّق التَّكافل الاجتماعي.

٢. **الصَّدقة:** امتداد لمعنى العطاء الإيماني: يقول -تعالى-:
﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ

أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾. [البقرة: ٢٦١]. فالصَّدقة هي استثمار إيماني، ثمرته بركة في المال وطمأنينة في القلب.

خَامِسًا: الاعتدالُ في الإِنفَاقِ دُون الإِسرافِ والشُّحّ:

يجعَل القرآنُ الاعتدالَ فِي الإَنفاق قاعِدةً ذهَبيَّةً للحياة الماليَّة السليمِة، فيقول: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا**﴾. [الفرقان: ٦٧]. هذه الوسطيَّة تجعل الإنسان يُحسن استثمار ماله دون أن يقع في فخ الإسراف، وتحميه من شُح النَّفس الذي يقود إلى الحرمان.

سَادسًا: إدارةُ المالِ فِي القُرآن: التَّخطيطُ والادّخارُ وحُسنُ التَّدبيرِ

القرآن يدعو إلى إدارة المالَ بحِكمةٍ، ويعرض لنا قصة يوسف عليه السلام كنَموذج فذّ في التَّخطيط الاقتصادي: ﴿**قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا**﴾. [يوسف: ٤٧]. لم يكتفِ يوسف عليه السلام بجمع المال، بل وضع خطة للادّخار في سنوات الرخاء استعدادًا لسنوات الجدب. هذه القصةُ تُعلّمنا أنَّ الادخار ليس بُخلاً، بل هو جزء من التدبير الحكيم الذي يحمي الأفراد والمجتمعات من الأزمات.

سَابِعًا: المَالُ والأَخلاقُ: كيف يُؤثّر المَالُ على سُلوكِ الإنسَان؟

اعتبرَ القرآن أنَّ المال قد يكون سببًا للطُغيان إذا لم يُضبط بالتَّقوى،

ولهذا يُحذر بقوَّة من أن يتحوَّل المال إلى إله يُعبد من دون الله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۞ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾. [العلق: ٦-٧]. فالمال إذا صاحَبَه الكِبر أفسد الإنسان، أمَّا إذا صاحَبَه الإحسان، جعله سببًا لعمارة الأرض.

ثَامنًا: المَالُ والآخرةُ: سُؤالان يَنتظِران كُلَّ إِنسَانٍ:

يُذَكِّر القرآنُ الإنسان بأنَّ المال الذي بين يديه اليوم، سيكون جزءًا من حسابه غدًا، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن ... ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ..."[1]. فالمؤمن الحقيقي هو من يتذكَّر هذا السؤال كلَّ يوم، ويجعل كل درهم ينفقه شاهدًا له لا عليه.

إنَّ المال في الرُّؤية القرآنيَّة ليس مجرّد أرقام أو ممتلكات، بل هو ميدان يتجلَّى فيه الإيمان من خلال الصّدق في الكسب، والإحسان في الإنفاق، والاعتدال في الاستهلاك، والعدل في التوزيع. من جعل القرآن هاديه في ماله، جعل المال عبدًا مطيعًا له، ولم يجعله سيّدًا مُتحكّمًا فيه. ومن أدرك أنَّ المال أمانة لله، تعامل معه بضمير حي في الدنيا، ونال به رضوان الله في الآخرة.

---

١ - محمد بن علي القمي: الخصال، ص٢٥٣.

◆ المَبحَثُ الثَّاني:
نَزعَةُ الاستِهلَاكِ فِي ضَوءِ القُرآنِ.. بَينَ الحَاجَةِ والإِسرَافِ

إنَّ نزعةَ الاستهلاك هي واحدةٌ من الظَّواهر التي باتت تُسيطر على المجتمعات الحديثةِ، حتى تحوَّلت إلى نمط حياةٍ يستهلك الإنسان قبل أن يستهلك الأشياء. هذه النَّزعة ليست مجرد سلوك اقتصاديّ، بل أصبحت ثقافةً اجتماعيَّةً، تُصنع وتُسوَّق من قبل الشركات والمؤسسات الاقتصادية التي تسعى إلى تحويل الإنسان إلى كائنٍ استهلاكيّ، يقيس قيمته بما يملك لا بما يكون. أمام هذا الطوفانِ الاستهلاكي، يُقدم القرآن الكريم رؤيةً مُتكاملةً تجعل من الاعتدال قاعدةً، ومن القناعةِ حصنًا، ومن الشُّكر مُنطلقًا، فيعيد توجيه الإنسان من دائرة «الاستهلاك بلا غاية» إلى مساحة «الاستهلاك الواعي» الذي يبني ولا يهدم، ويُحيي ولا يُميت.

لا يُعادي القرآن الُمتعة، ولا يحرّم التَّملك، بل يرشد إلى توازنٍ دقيقٍ يجعل من الإنسان سيّدًا على الأشياء، لا عبدًا لها. يقول -تعالى-، راسمًا هذا الميزان الإيماني: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأعراف: ٣١].

إنَّها دعوةٌ صريحةٌ للاستمتاع بنِعم الله، لكن ضمن إطار يحفظ الإنسان من أن تنقلب المتعة إلى عبوديَّة، أو يتحوَّل الشراء من حاجة

إلى هوس. فالقرآن، هنا، يجعل «عدم الإسراف» معيارًا للإيمان؛ لأنَّ الإسراف ليس مجرد زيادة في الاستهلاك، بل هو انحراف في العلاقة مع الأشياء ومع الذَّات ومع الله.

أَوَّلًا: الاستِهلاكُ بين الحَاجةِ والوَهمِ.. كيف تَصنعُ الشَّركاتُ رَغباتِنا؟

لم تعد نزعة الاستهلاك في عالمنا المعاصر استجابةً لحاجةٍ، بل باتت استسلامًا لرغباتٍ مصنوعةٍ بعنايةٍ. إنَّ الشَّركات اليوم لا تبيع المنتجات فقط، بل تبيع «الأحلام» و«الصور المثالية» و«الإحساس بالانتماء» من خلال الإعلانات التي تُقنع الإنسان بأنَّ شراء هذا المنتج سيجعله أكثر سعادة، أو أكثر جاذبيَّة، أو أكثر انتماءً إلى طبقة معيّنة. إنَّها ثقافة تزرع في الإنسان شعورًا دائمًا بالنقص، وتجعله يسعى لتعويض هذا النقص بالمزيد من الشراء.

يُفكّك القرآن هذا الوهم الاستهلاكي حين يذكّر الإنسان بأنَّ القيمة الحقيقيَّة ليست فيما يملك، بل فيما يكون. يقول -تعالى-: ﴿**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات: ٢١]. إنَّها دعوةٌ للتَّأمل في الذَّات، واكتشاف كنوزها الداخليَّة، قبل أن ينطلق الإنسان إلى الخارج بحثًا عن معنى زائف عبر المقتنيات. ويفضح القرآن نزعة التَّفاخر التي تقوم عليها ثقافة الاستهلاك: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ**﴾ [التكاثر: ١-٢].

هنا، لا يلوم القرآن الإنسان على الرَّغبة في العيش الكريم، بل يلومه على أن يجعل التكاثر هدفًا، وأن يحوّل حياته إلى سباق لا ينتهي على امتلاك المزيد، حتى يجد نفسه في النهاية ميتًا، وقد أفنى عمره في جمع ما لا ينفعه.

من ثقافة التَّبذير إلى عبوديَّة السوق- تحذير قرآني مبكر من الاستهلاك الجشع. تدفع الشركات الكُبرى اليوم الإنسان إلى الاستهلاك من خلال إغراق السوق بمنتجات لا يحتاجها الإنسان حقًّا، لكنَّها تُقدَّم له باعتبارها ضرورية لعيش «حياةً أفضل». هذه النزعة تُؤدّي إلى التَّبذير، حيث يشتري الإنسان أكثر ممَّا يحتاج، ثُمَّ يُهدر أكثر ممَّا يستخدم.

يضع القرآن التبذير في مصافّ المعاصي الكبرى، ويكشف جذوره الخُلُقيّة: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧].

هذا التَّشبيه صادمٌ، لكنَّه عميق. فكما أنَّ الشَّيطان يسعى لإفساد الإنسان بإضاعة دينه، فإنَّ التَّبذير يُفسده بإضاعة ماله وعقله وقلبه. ليس التَّبذير مجرد إفراط في الإنفاق، بل هو «إفساد للنعمة»، و«قتل لقيمة الأشياء»، وتحويل ما كان نعمة إلى نقمة.

ثَانيًا: الاستهلَاكُ وأثره عَلى النَّفسِ والمُجتمَعِ.. قِراءةٌ قُرآنِيَّةٌ للنَّتَائج الكَارِثيَّة:

ليست نزعة الاستهلاك مجرد اختلال اقتصادي، بل هي مرضٌ

رُوحي يترك أثره على النَّفس والمجتمع:

على مستوى النَّفس، تتحول الرغبة في الشراء إلى إدمان يجعل الإنسان يفقد السيطرة على ذاته، فيعيش في دوَّامةٍ من القلق؛ لأن السوق دائمًا يخلق له «رغبات جديدة» أسرع من قدرته على الإشباع. هنا يصبح الإنسان عبدًا لحاجاته المصطنعة، ويُحرم من متعة الاكتفاء والرضا.

وعلى مستوى المجتمع، تؤدي نزعة الاستهلاك إلى تفكك العلاقات الإنسانيَّة، حيثُ يحل «التَّملك» مكان «التَّشارك»، ويُصبح الإنسان يقيس نفسه بما يملك لا بما يعطي. يقول -تعالى- محذّرًا من هذا الانحراف الاجتماعي: ﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا**﴾ [طه: ١٣١].

إنَّها دعوةٌ للإنسان أن يحفظ بصره من الحسد، وقلبه من المقارنة التي تفسد النفس وتقتل الامتنان.

ثَالثًا: الاعِتدَالُ في الاستِهلَاكِ.. مِنهجٌ قُرآنيٌّ لبِناءِ حياةٍ مُتوَازِنَةٍ

يطرح القرآن «الاعتدال» كقِيمةٍ مركزيَّةٍ في التعامل مع المال والمتاع، ويجعل من «الاقتصاد» في النفقة فضيلةً إيمانيَّة: ﴿**وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا**﴾ [الفرقان: ٦٧].

هذا الاعتدال ليس مجرد توازن مالي، بل هو توازن روحي يجعل الإنسان يحكم حاجاته بعقله، لا بعواطفه أو إعلانات السوق.

رَابعًا: القَناعةُ.. دِرعُ المؤُمنِ أَمامَ طُوفانِ السُّوقِ

إنَّ القَناعة في القرآن ليست دعوة إلى الفقر أو الحرمان، بل هي فن «الاستغناء»، وهي التي تجعل الإنسان سيّدًا على الأشياء لا عبدًا لها. يقول -تعالى-: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ**﴾ [الضحى: ٥].

الرضا هنا ليس رضا الكسل أو الاستسلام، بل رضا القلب الذي يأخذ من الدنيا ما يكفيه، ولا يجعلها تحتل قلبه.

خَامِسًا: نمَوذَجٌ عمليٌّ من القُرآنِ.. يُوسف عليه السلام وإدارةُ الاستِهلَاكِ

تُقدم قصةُ يُوسُف عليه السلام نَموذجًا عمليًّا لكيفيَّة إدارة الموارد في زمن الوفرة والجفاف. حينما تولَّى خزائن مصر، لم يعتمد سياسة التكديس الجشع، بل وضع نظامًا مُتوازنًا يقوم على الادخار الحكيم والاستهلاك المعتدل: ﴿**قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا... فَذَرُوا فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ**﴾ [يوسف: ٤٧].

هنا يُعلّمنا القرآن أنَّ مُواجهةَ الأزمات الاقتصاديَّة لا تكون بالاستهلاك المُفرط في زمن الوفرة، بل بإدارة الموارد بحكمة.

سَادِسًا: الزُّهدُ القُرآنِيُّ.. فَلسفةُ استهلاك وَاعِيَة:

الزُّهد في القُرآن ليس رفضًا للمُتعة، بل هو رفضٌ لعبوديَّة الأشياءِ. يقول -تعالى-: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]. فالزُّهد الحقيقيُّ هو أن تكون الأشياءُ في يدك لا في قلبك، وأن تمتلك الأشياء دون أن تمتلكك.

سَابعًا: نقدٌ قرآنيٌّ للنظامِ الاستهلَاكيِ الرَأسمَاليّ:

يقوم النِّظام الرأسمالي على فكرة «الاستهلاك من أجل الاستهلاك»؛ حيثُ تتحوَّل الحاجة إلى سوق، والرَّغبة إلى سلعة. لا يعيش هذا النظام إلَّا إذا بقي الإنسان جائعًا، لكنه جوعٌ مصطنعٌ لرغبات لا تنتهي. يفضح القرآن هذا المنطق حين يكشف أنَّ التَّكديس بلا هدف هو عين الخسارة: ﴿وَيَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ [الهُمزة: ٣]. وهذا هو وهم الرأسماليَّة الكُبرى: أن يوهموك أنَّ الاستهلاكَ طريق إلى الخُلود، بينما هو في الحقيقة طريق إلى العبوديَّة.

ليست نزعةُ الاستهلاكِ مُجرَّد سلوكٍ اقتصادي، بل هي مرض رُوحي يُغذّيها السوق، ويعالجها القرآن بالإيمان والقناعة والاعتدال. لا يُريد الإسلام للإنسانِ أن يعيش فقيرًا، لكنَّه يريد له أن يعيش سيّدًا لا عبدًا، مالكًا للأشياءِ، لا مملوكًا لها. ومن جعل القرآن هاديه في إنفاقه واستهلاكه، عاش حياةً غنيَّةً حتى ولو كان ماله قليلاً؛ لأنَّه امتلك ما لا تستطيع الأسواق بيعه: راحة القلب وطُمأنينة الرُّوح.

◆ المَبحَثُ الثَّالِثُ:

الصّلةُ بَينَ الدّينِ والصّحةِ.. العِنايَةُ بالجَسدِ والرُّوحِ وفقَ المِنهَجِ القُرآنِيّ:

إنَّ الصّحة في التَّصوُّر القرآني ليست مجرد سلامة الجسد، بل هي توازنٌ شاملٌ بين الجسدِ والرُّوح والعقل. ينظر القرآن الكريم إلى الإنسان ككيان مُتكامل، فلا يهتم بروحه فقط ويهمل جسده، ولا يعتني بجسده ويغفل عن روحه، بل يضع مَنهجًا مُتكاملاً لحياةٍ صحيَّةٍ متوازنة. إنَّ العنايةَ بالصحة ليست ترفًا أو أمرًا ثانويًّا، بل هي جزءٌ من العبادة؛ لأنَّ الجسدَ هو أمانةٌ وهبها الله للإنسان، وسيُسأل عنها يوم القيامة. يقول -تعالى-: ﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾. [البقرة: ١٩٥].

تحمل هذه الآية تحذيرًا شديدًا من إهمال الصحة أو تعريض النَّفس للأذى، وتجعل من الوقاية مبدأً إيمانيًّا قبل أن يكون صحيًّا.

أوَّلا: مَفهُومُ الصّحةِ في القُرآنِ:

إنَّ مفهومَ الصحة في القرآن أوسع من أن يُحصر في سلامة البدن فقط، فهو يشمل الصحة النَّفسيَّة والعقليَّة أيضًا. حينما يخاطب الله الإنسان بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾. [البقرة: ١٧٢]. فهو لا يُوجّه فقط إلى الطعام الحلال، بل إلى الطَّيب

من كل شيء، سواء في الطعام أو الشراب أو العَلاقات أو الأفكار. فالطَّيبات تُغذي الجسد وتمنح النَّفسَ راحةً، وتجعل الإنسان في حالةٍ من الاتزان تمُكنه من عبادة الله بصفاءٍ وقوةٍ.

وإذا تأمَّلنا في السُّنةِ الإلهيَّة التي تظهر في الطبيعة والخلق، نجد أنَّ القرآن يربط دائمًا بين الصحة والعمل الصالح، بين العافيةِ والسَّعي؛ لأنَّ الصحة ليست غايةً بحدّ ذاتها، بل وسيلة للعطاء والإنتاج. كان النَّبي أيوب ﵇، رغم بلائه الشَّديد، نَموذجًا للصَّبر والصّلة بالله، وعندما أذن الله له بالشفاء، جاء هذا الشفاء مقرونًا بالفعل والعمل؛ حيثُ قال له -تعالى-: ﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ* هَـٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ**﴾. [ص: ٤٢]. إنَّ في هذه الآية منهجًا طِبيًّا متكاملاً: العلاج بالماء والعلاج بالحركة والعلاج بالأمل. إذًا الصحة ليست مُجرَّد حالة جسديَّة، بل هي رحلة إيمانيَّةٌ تتداخل فيها العوامل الرُّوحيَّة والجسديَّةً والنَّفسيَّة.

ومن أهم القِيَم التي يربط فيها القرآن بين الصحة والدّين هي النظافة والطهارة. فالطَّهارة ليست شرطًا للصَّلاة فقط، بل هي أسلوب حياةٍ يمنع الأمراضَ ويُحصن الجسد من الأذى. يقول -تعالى-: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾. [البقرة: ٢٢٢].

وإذا نظرنا إلى السُّنةِ النبويَّة، نجد أنَّ الوضوء الذي يتكرر خمس مرات يوميًّا هو نظامٌ صحيٌّ كاملٌ، يغسل الجسد من الجراثيم، ويُجدد نشاط الدَّورة الدَّمويَّة، ويمنح الإنسان إحساسًا دائمًا بالنَّقاء.

ثَانيًا: العِنايَةُ بالجَسدِ في القُرآنِ:

تتجلَّى العَنايةُ بالجسدَ في القرآنَ من خلال أوامر واضحة تهدف إلى حفظ الصّحةِ الجَسديَّة قبل وقوع المرض. فالوقايةُ هي الأساس. فالصّيام -على سبيل المثال- ليس مجرَّد عبادة، بل هو دورةٌ سنويَّة لتنظيف الجسد وتجديد طاقته، ويؤكّد ذلك كما ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «لكل شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام»[1]؛ باعتبار أنَّ التَّزكيةَ فعل تطهيرِ وتخليةِ من الشَّوائب والأضرار، ولكل شيء زكاة وطهارة خاصة به، فتزكية النَّفس هو تجرُّدها عن الرَّذائل وتحليتها بالفضائل، وكذلك زكاة المال، وهو إخراج مقدار ما لا نملكه من حق الله فيه وهو زائد عن حقنا، وكذلك تزكية البدن وتطهيره من السُّموم من خلال الصوم. وليس غريبًا أن يتحدَّث الطب الحديثُ اليوم عن فوائد الصيام المُتقطّع الذي أثبَت علميًّا قدرته على تحسين وظائف الجسد وتجديد الخلايا.

أمَّا عن التغذية، فإنَّ القرآن يجعل الاعتدال قاعدةً ذهبيَّةً في كلّ شيء، فيقول: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا**﴾. [الأعراف: ٣١]. لا تمنع هذه الآية التَّمتع بنِعم الله، بل تحذّر من الإفراط الذي يؤدي إلى الأمراض. كما يدعو القرآن إلى الحذر من العادات التي تُهلك الصحة، مثل تعاطي

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٤، ص٦٢.

المحرمات التي تضرُّ الجسد والعقل. يقول -تعالى-: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ**﴾. [البقرة: ٢١٩].

ثَالثًا: الصّحةُ النَّفسيَّةُ من منظَار قُرآنيّ:

إنَّ الصحةَ النَّفسيَّة أيضًا جزءٌ أصيلٌ من الرُّؤية القرآنيَّة للصحة. يُدرك القرآن أثر الحُزن والقلق على الجسد، ولهذا يُوجه الإنسان إلى التفاؤل وحسن الظَّن بالله؛ لأنَّ النَّفس إذا اطمأنَّت، انعكس ذلك على الجسد. يقول -تعالى-: ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾. [الرعد: ٢٨]. فالقلوب المطمئنة هي قلوبٌ تتعافى من القلق والخوف، وتتمتع بصحة نفسيَّة تجعل الجسد في حال أفضل.

ومن أروع ما يعكس تكامُل الرُّؤية القرآنيَّة للصحة هو الجمع بين الصحة الجسديَّة وصحة العلاقات الاجتماعيَّة؛ لأنَّ الإنسان لا يحيا وحده، ولا تصح صحته إذا كان قلبه مُثقلاً بالبغض أو الحسد أو القطيعة. ولهذا، يربط القرآن بين سلامة القلب وسلامة الجسد حين يقول: ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾. [الشعراء: ٨٨-٨٩].

رَابعًا: دُور الإيمانِ في الحَالاَتِ المرَضِيَّةِ:

لا يكتفي القرآن بالتَّوجيه إلى العناية بالجسد والروح، بل يؤكّد على أنَّ

المرض جزءٌ من رحلة الإنسان، وأنَّ الصحةَ ليست دائمةً، وأنَّ المرض نفسه قد يكون بابًا إلى القُرب من الله، وفرصة للتَّطهر من الذنوب. يقول -تعالى-: {**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**}. [الشعراء: ٨٠].

هذه الآية تمنح المريض يقينًا بأنَّ الشفاء بيد الله، لكنها لا تلغي مسؤوليَّة السعي للعلاج والأخذ بالأسباب، فلقد سُئل رسول الله أنتداوى؟ فقال: «نعم تداووا، فإنَّ الله تبارك وتعالى لم ينزل داءً إلَّا وقد أنزل له دواء»[١]. فما من مُحرَّم نهى الله عنه إلاَّ وكان ضرره على الصحة أو النَّفس أو المجتمع واضحًا، وما من طيب أباحه الله إلا وكان فيه نفع وصلاح للبدن والعقل.

فالقلب السليم هو الذي يحمل الخير للناس، ويعفو عنهم، ويحسن الظن بهم، وهذا النوع من القلوب لا تصيبه أمراض الحقد والكراهية التي تفتك بالنَّفس والجسد معًا.

في الختام، يُعلّمنا القرآن أنَّ الصحة ليست مجرد عافية الجسد، بل هي حالة شاملة من التوازن بين الجسد والعقل والروح، تتجسد في نظافة الجسد، واعتدال الغذاء، وطُمأنينة النَّفس، ونقاء القلب. إنها عبادة يوميَّة تتمثل في حسن رعاية هذه الأمانة التي وهبها الله لنا، لأنَّنا سنُسأل عنها كما نُسأل عن أعمالنا. فالقرآن يقدم لنا مِنهجًا صحيًّا

---

١ - الحميري القمي: قرب الإسناد، ص١١٠.

مُتكاملاً، يجعل من العناية بالجسد جزءًا من العناية بالروح، ومن العناية بالنَّفس جزءًا من العناية بالآخرة.

◆ المَبحَثُ الرَّابِعُ:
إِدارَةُ الوَقتِ في ضَوءِ القُرآنِ.. تَنظِيمُ الحَياةِ اليَومِيَّةِ بِمِيزَانٍ إِيمَانِيٍّ

إنَّ الوقت هو أحد أعظم نِعم الله على الإنسان، وهو أغلى ما يملك، لأنَّ كُلَّ لحظةٍ تمضي لا تعود أبدًا. ومع ذلك، فإنَّ كثيراً من النَّاس لا يُدركون قيمةَ الوقت إلا بعد ضياعه. لهذا، يُولي القرآن الكريم قضيَّة الوقت أهميَّة كبيرة، ويجعل تنظيمه جزءًا من المِنهج الإيماني في الحياة. الزمن في القرآن ليس مجرد أداة للحساب أو وسيلة للعمل، بل هو ساحة للعبادة، ومساحة للاختبار، وميزان يُقاس به عمر الإنسان ونتاج حياته.

حين يُقْسِمُ الله -تعالى- بالزمن في مواضع متعددة من القرآن، فإنَّما يلفت أنظارنا إلى عظمة هذه الأمانة. يقول -تعالى-: ﴿**وَالْعَصْرِ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ**﴾. [العصر: ١-٢].

القَسَم هنا بالزمن يحمل تحذيرًا خطيراً: الإنسان في خسارة إذا لم يستثمر وقته في العمل الصالح، وإذا لم يجعل من عمره رصيدًا للآخرة. فالوقت هو رأس مال الإنسان الحقيقي، والخاسر من يضيعه فيما لا ينفع.

أوَّلًا: الوَقتُ فِي القُرآنِ.. نعمةٌ ومسؤوليَّةٌ:

يجعل القُرآن الكريم إدراكَ الوقت جُزءًا من الوعي الإيماني، ويُذكّر الإنسان بتقسيماتِ الزَّمن حتى يعِي دورة الحياة ويعيشها بوعي كامل:

١. يقول -تعالى-: ﴿**وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا**﴾. [الفرقان: ٦٢]. الليل والنَّهار ليسا مجرد تعاقب زمني، بل فرصتان للتأمُّل والشُّكر والعمل.

٢. يقول -سبحانه-: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾. [آل عمران: ١٩٠].

إنَّ اختلاف الليل والنهار هو درسٌ عملي في قيمة الزمن، لأنَّ كل شروق للشمس هو فرصةٌ جديدةٌ للعمل الصالح.

ثانيًا: الوَقتُ كأَمَانةٍ إِلَهيَّةٍ.. ستُسألُ عَنه يَومَ القِيامَةِ:

يؤكّد القرآن أنَّ الإنسان مسؤولٌ عن كل لحظة في حياته، وأنَّ الوقت ليس ملكًا خاصًا يفعل به ما يشاء، بل هو أمانةٌ يُسأل عنها. يقول النبي ﷺ: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل ... عن عُمره فيما أفناه"[١]. فالوقت هو الوعاء الذي يحمل أعمال الإنسان، وما يُسجَّل فيه هو ما يحدد مصيره في الآخرة.

---

١ - محمد بن علي القمي: الخصال، ص٢٥٣.

ثَالثًا: القُرآنُ وتَنظِيمُ الوَقتِ.. منهجُ حَيَاة يَوميّ:

إذاَ تأمَّلنا في القرآن والسُّنة، وجدنا أنَّ الإسلام يرسم برنامجًا يوميًّا لتنظيم الوقت، يبدأ بالصلاة وينتهي بها، ويمزج بين العمل والعبادة، وبين السَّعي والرَّاحة.

١ - الصَّلاةُ مقياسٌ دقيقٌ لتنظيم اليَوم:

يقول -تعالى-: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾. [النساء: ١٠٣]. جعل الله الصَّلاة مرتبطةً بالوقت لتكون مُنبهًا يوميًّا يضبط إيقاع حياة الإنسان. خمس مرات يوميًّا يقف المؤمن ليعيد ترتيب أولويَّاته ويتذكَّر غايته الكبرى.

٢ - الفَجرُ بِدايةٌ مُوفقة ليوم مُبارَك:

يقول -تعالى-: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ * إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾. [الإسراء: ٧٨]. ليست صلاة الفجر مجرد عبادة، بل هي إعلان لبداية يوم جديد مليء بالنشاط، ولهذا وصفها النبي ﷺ بأنها مِفتاحُ البركةِ في الرِّزق.

٣ - العملُ في أوقات النَّشاط نهج الأنبياء:

يقول -تعالى-: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن

فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]. يأتي السَّعي في الأرض، بعد أداء الفريضة، لأنَّ الإسلامَ لا يفصل بين العِبادة والعمل، بل يجعلهما متكاملين.

٤ - الرَّاحة وقت الحاجة.. التَّوازن لا التسيب:

يقول -تعالى-: ﴿**وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا**﴾ [النبأ: ٩]. فالنَّوم في القرآن ليس تعطيلاً للوقت، بل هو تجديد للطَّاقةِ، وهو جزءٌ من دورةِ الحياةِ المتَّزنةِ التي تجمع بين العمل والاستراحة.

رَابعًا: آفات تُضيّعُ الوقتَ في القُرآنِ.. تَحذيرَاتٌ إيمَانيَّةٌ وعَمليَّةٌ:

يُقدِّم القرآن تحذيرًا من السلوكيَّات التي تُهدر الزمن؛ لأنَّها تسرق من عمر الإنسان دون أن يشعر:

١ - الكَسلُ والتَّسويفُ:

يقول -تعالى-: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ**﴾ [الحشر: ١٩]. فالتسويف يُنسي الإنسان قيمته ويجعله يعيش في فراغٍ قاتلٍ.

٢ - اللهو الزَّائد فيما لا ينفع:

يقول -تعالى-: ﴿**وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا**﴾ [الأنعام: ٧٠]. فاللعب ليس حرامًا، لكن حين يُصبح هو الهدف ويسيطر على الوقت، يفقد الإنسان توازنه.

٣ - الغَرقُ في الجدل العقيم:

يقول -تعالى-: ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا**﴾ [الزخرف: ٥٨]. فالجدل الذي لا يُثمر عملاً ولا يقود إلى حق هو من أكبر مُضيّعاتِ الوقت.

خَامسًا: إِدَارةُ الوَقت وفقَ القُرآنِ.. دُروسٌ عَمليَّةٌ من حَياة الأنبِيَاءِ:

إنَّ الأنبياء هم قدوةٌ عمليَّةٌ في إدارة الوقت، فقد وظَّفوا حياتهم للعمل والعبادة والإصلاح الاجتماع، وفيما يأتي سنعرض لنماذج عمليَّة من حياتهم عليهم السلام.

١ - إبراهيم عليه السلام: تنظيم الأولويات:

حينما بنى إبراهيم عليه السلام البيت الحرام مع ابنه إسماعيل، كانت مُهمَّته الكُبرى عبادة تعمر الأرض. لم يشغله البناء المادي عن الدُّعاء الرُّوحي: ﴿**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا**﴾ [البقرة: ١٢٧].

٢ - يوسف عليه السلام: التَّخطيط طويل الأمد:

حين تولّى يوسف عليه السلام إدارةَ خزائن مصر، وضع خطّة اقتصادية امتدَّت لأربعة عشر عامًا، جمعت بين الادخار والإنفاق. يقول -تعالى-: ﴿**قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا**﴾ [يوسف: ٤٧]. هذه القصة نموذج رائع لإدارة الوقت وفق رؤية إستراتيجيَّةٍ.

٣ - النَّبيُّ محمد ﷺ: التوازن بين العبادة والعمل:

كان النَّبيُّ ﷺ يُقسّم وقته بين العبادة والتعليم ومساعدة أهله وإدارة شؤون الأمَّة، قال الحسين عليه السلام: "سألت أبي عليه السلام عن مدخل رسول الله ﷺ فقال: كان دخولُه لنفسه مأذونًا له في ذلك فإذا آوى إلى منزله جزّأ دخولَه ثلاثة أجزاء: جزءٌ لله -تعالى- وجزءٌ لأهله وجزءٌ لنفسه ثم جزّأ جزءًا بينه وبين النَّاس فيرد ذلك بالخاصَّة على العامَّة ولا يدخر عنهم منه شيئًا وكان من سيرته في جزء الأُمَّة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسّمه على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج"[1].

سَادِسًا: منهج قُرآنيٌّ عَمليٌّ لتّنظِيمِ اليَوم:

١. ابدأ يومَك مُبكرًا: استفد من ساعات الفجر حيثُ تكون البركة.

٢. حدّد أولوياتِك: اجعل العمل الصالح في المُقدمة، ثم السعي للرزق، ثم راحة البدن.

٣. قسّم وقتك بين العبادات والعمل والأسرة: لا تُهمل أيَّ جانب.

---

١ - محمد بن علي القمي: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٢٨٣.

٤. اجعل لك وقتًا للتَّأمُّل والقراءة: فالعقل يحتاج إلى غذاء كما يحتاج الجسد إلى الطَّعام.

٥. راجع يومك قبل النوم: كما ورد عن الإمام الكاظم ﷺ: "ليس منَّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فإنَّ عمل حسنًا استزاد الله وإن عمل سيئًا استغفر الله منه وتاب إليه"[1].

سَابِعًا: الوَقتُ والآخرةُ أَغلَى ما يندمُ عليه الإنسانُ:

يُحذِّرنا القرآن من أن يأتي يوم القيامة ونتمنى العودة للحياة لنستثمر ما ضاع من الوقت: ﴿**حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ**﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]. لكن تلك الأُمنيَّة تأتي متأخرةً؛ لأنَّ الزَّمن لا يعود، والعمر لا يتكرر.

ليست إدارة الوقت مجرد مهارة تنظيميَّة، بل هي عبادةٌ قلبيَّةٌ، وعلامة على وعي الإنسان برسالته في الحياة. من يَعِشْ وقته وفق ميزان القرآن، يجعل لكل لحظة معنى، ولكل عمل قيمة، ويجعل يومه لبنة في بناء آخرته. فالزمن هو الحياة، ومن فرط فيه، فقد ضيّع أعظم ما يملك.

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص٤٥٣.

◆ المَبحَثُ الخَامسُ:
الأَمانَةُ العلميَّةُ والإخلاصُ فِي طَلَبِ العِلمِ والعَملِ.. رُؤيَةٌ قُرآنيَّةٌ لِحيَاةِ المَعرِفةِ

إنَّ العلم في التصور القرآني ليس مجرد تراكم للمعلومات، بل هو نورٌ يهدي الإنسان إلى الحق، وسلاح يبني الحضارات، ومسؤوليَّة ترتبط بالإخلاص والأمانة. إنَّ طلب العلم عملٌ تعبُّدي يرتقي بصاحبه عند الله، لكنه في الوقت نفسه أمانة ثقيلة تستلزم الصدق والإخلاص في تحصيله ونقله وتطبيقه. ولهذا، يرتبط العلم في القرآن دائمًا بالقِيم الخُلُقِيّة التي تحفظه من الانحراف، وتجعل منه وسيلة للنهضة لا أداة للإفساد.

أوَّلًا: العِلمُ فِي القُرآنِ.. عِبادَةٌ عَقليَّةٌ وروحِيَّةٌ:

منذ أول لحظة خاطب الله الإنسان، كان العلم هو أول ما علَّمه له: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾ [البقرة: ٣١]. فالعلم هو الذي ميَّز الإنسان عن سائر المخلوقات، وهو الذي جعله مُؤهلًا للخلافة في الأرض. ولذلك، جعل القرآن طلب العلم فريضةً وأساسًا لبناء المجتمع الإيماني.

ويُؤكد القرآن أنَّ العلم الذي ينفع هو العلم الذي يقترن بالإيمان: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: ١١].

هنا يتجلَّى الربط بين الإيمان والعلم، لأنَّ العلم وحده قد يقود إلى الكبر والطُّغيان، لكن العلم المقترن بالإيمان يصنع شخصية متواضعة، ناضجة، ومسؤولة.

ثَانِيًا: الأَمانَةُ العِلميَّةُ في القُرآنِ.. مسؤوليَّةٌ مُقدَّسةٌ لا مُجرَّد التزَام مِهَنيّ:

إنَّ الأَمانة العلميَّة هي أساس كل نهضة علمية حقيقيَّة، وهي تتجلى في الصدق في البحث، والدقة في النقل، والأمانة في نسب الأقوال إلى أصحابها، وعدم التلاعب بالحقائق لتحقيق مصالح شخصيَّة. يقول -تعالى-: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**﴾ [النساء: ٥٨]. فالأمانات هنا تشمل العلم الذي هو ملك عام للبشرية، فلا يجوز تحريفه أو كتمانه أو تشويهه.

ويحذر القرآن من أشد صور خيانة الأمانة العلمية، وهي كتمان الحقائق أو تزييفها: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ**﴾ [البقرة: ١٥٩]. فكتمان العلم أو تزويره خيانة للأمانة العلمية؛ لأنَّه يُضلل الناس ويحجب عنهم النور الذي أنزله الله لهدايتهم.

ثَالثًا: الإِخلَاصُ في طَلَبِ العِلم.. قَلبُ المَعرِفَةِ النَّقيَّةِ:

إنَّ أقدسَ ما يجعل العلم نوراً هو الإخلاص فيه؛ لأنَّ الإخلاص يجعل من رحلة العلم عبادة لا مجرد مهنة. فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، فليتبوأ مقعده من النار، إنَّ الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها»[١].

فالإخلاص في طلب العلم هو أن يكون الهدف هو الوصول إلى الحقيقة، ونفع الناس، والارتقاء بالنفس، لا التَّفاخر أو التَّربح أو خداع الناس.

والإخلاص يظهر في طريقة تعامل الإنسان مع المعرفة:

١. في البحث: أن يكون مُنصفًا في تحليله، نزيهًا في استنتاجاته.

٢. في التعليم: أن ينقلَ المعرفة كما هي دون تزييف أو تحريف.

٣. في التطبيق : أن يجعل علمه وسيلة للإصلاح، لا للإفساد.

رَابعًا: آفاتٌ تُهددُ الأَمانَةَ العِلميَّةَ وتُحارِبُ الإِخلَاصَ:

يُحَذّر القرآن من السلوكيات التي تفسد العلم وتحوّله إلى أداةٍ للشَّر:

١ - الغُرور العلمي:

يقول -تعالى-: ﴿**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم**

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج١، ص٤٧.

مِّنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣]. فالغرور العلمي يجعل الإنسان يرفض الحق إذا جاءه من غيره، لأنَّه يظُّن أنَّه بلغ الكمال بعلمه.

٢ - الإتجار بالعلم:

يقول -تعالى-: ﴿**وَاشْتَرَوْا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلا**﴾ [آل عمران: ١٨٧]. فتحويل العلم إلى سلعة تُباع وتُشترى، أو استغلاله لتحقيق مصالح شخصية، هو خيانة للأمانة العلميَّة.

٣ - الجدل العقيم الذي يُضيع الوقت والعُقول:

يقول -تعالى- :﴿**وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ**﴾ [الكهف: ٥٦]. إنَّ الجدلَ من أجل الجدل، دون نِيَّة البحث عن الحقيقة، هو انحراف عن روح العلم.

خَامسًا: منهَجُ الأنبياءِ فِي طَلَبِ العِلم ونَقلهِ.. دروسٌ في الأَمانَةِ والإِخلَاصِ:

١ - إبراهيم عليه السلام: العلم وسيلةٌ للهداية وليس للجدل العقيم

عندما حاجَّه النمرود، لم ينجر إلى جدال عقيم، بل انتقل إلى الحُجَّة الدَّامغة التي تعكس نورَ العِلم والإخلاص للحق: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي**

بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. هنا نرى كيف يكون العلم وسيلة للهداية، لا أداة للتلاعب أو الاستعراض.

٢ - موسى عليه السلام: طلب العلم بتواضعٍ وإصرارٍ

موسى عليه السلام رغم مكانته كنبي، لم يتردَّد في طلب العلم من العبد الصالح بكل تواضع: ﴿**هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾ [الكهف: ٦٦]. هذا درس لكل طالبِ علمٍ: لا يُنال العلم إلَّا بالتَّواضُع، ولا يتقن إلا بالصبر.

٣ - النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم: العلم مع الإخلاص والإحسان

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نَموذجًا للأمانة العلمية، لا يكتم عِلمًا، ولا يُضلّل أُمّة، وكان يقول صلى الله عليه وآله وسلم: "نضّر الله عبدًا سمع مقالتي فوعاها، وبلَّغها من لم تبلغه يا أيُّها النَّاس ليبلغ الشاهد الغائب"[1]. وهذا يجعل من كلَّ مُتعلّم داعيةً للخير، لا مُحتكِرًا للمعرفة.

سَادسًا: الأَمانَةُ العلميَّةُ في الحيَاةِ المُعاصِرةِ.. تَطبِيقَاتٌ عمليَّةٌ مُستَوحَاةٌ من القُرآنُ:

١. في البحث العلمي: الالتزام بالنَّزاهة، وعدم التلاعب بالنتائج

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج١، ص٤٠٣.

لتحقيق مكاسب ماديَّة أو شُهرة.

٢. في الإعلام والمعرفة العامة: نشر الحقائق وعدم ترويج الأخبار الكاذبة أو التضليليَّة.

٣. في التعليم: نقل العلم كما هو، وتدريب الطلاب على التفكير النقدي والتحليل الموضوعي.

٤. في العمل: تطبيق العِلم في خِدمة المُجتمع، مثل استخدام التكنولوجيا في حل مشكلات الإنسان، لا في استغلاله.

سَابِعًا: الإِخلَاصُ في العَمَلِ امتداد للأَمانَةِ العِلميَّة:

إنَّ العَلم لا قيمةَ له إذا لَم يتحوَّل إلى عمل نافع، ولَهذا يُؤكد القرآن أنَّ الإخلاص يجب أن يرافق العمل كما يرافق طلب العلم، يقول -تعالى-: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: ١٠٥]. يربط القرآن هنا بين العمل ومراقبة الله، لأنَّ العمل إذا خلا من الإخلاص فقد جوهره.

ثَامنًا: ثمارُ الأَمانة العلميَّة والإخلَاص في طَلَب العِلم والعَمَلِ:

١. بركة في العلَم: لَأنَّ الله يبارك في العلم الذي يُطلب لَوجهه تعالى.

٢. محبَّةُ النَّاس وثقتهم: لأنَّ العالِمَ الصَّادق يكون منارًا للحق.

٣. تقدُّم الأُمَّة ونهضتها: فكل حضارة بُنيت على العلم المُخلِص

كانت حضارة باقية، وكل حضارة قامت على العلم المُزيَّف انهارت سريعًا.

ليست الأمانة العلميَّة مجرد شعار أكاديمي، بل هي قيمة قرآنية تنطلق من الإخلاص لله وتنعكس في كل مناحي الحياة. الإخلاص في طلب العلم والعمل هو الذي يحول المعرفة إلى نور يهدي، ويحول العالم إلى قدوة يبني. ومن جعل العلم لله، كان علمه نورًا في الدنيا، وذخرًا في الآخرة.

◆ المَبحَثُ السَّادِسُ:

الرقَابَةُ الذَّاتيَّة.. الإِحسانُ في السرّ والعَلنِ وفقَ المَفهُومِ القُرآنِيّ:

إنَّ الرقابَةُ الذَّاتية في التَّصور القُرآني ليست مجرد شعور داخلي، بل هي ثمرة الإيمان العميق التي تجعل الإنسان يُراقب أفعاله وسلوكياته بنفسه، سواء كان في الخفاء أو العلن. إنَّها إحساس دائم بحضور الله، يستمد قوته من الوعي بأنَّ الله يرى ويسمع ويعلم، وإنْ لم يكن هناك رقيب من البشر. ولهذا، يربط القرآن بين الإحسان والرقابة الذَّاتية، فيجعل الإحسان هو أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك.

حينما قال يوسف عليه السلام في وجه الإغراء: ﴿**مَعَاذَ اللهِ**﴾ [يوسف: ٢٣]، كان هذا إعلانًا عن رقابة ذاتية بلغت أعلى مراتبها، فلم يحتج إلى رقيب خارجي يردعه، لأنَّ اللهَ كان حاضرًا في قلبه وعقله.

أوَّلًا: الرقابةُ الذَّاتيَّةُ في القُرآنِ: وَعيٌ دَائمٌ بِحُضورِ اللهِ:

يجعل القرآن الرقابة الذاتية جزءًا من صميم العقيدة الإيمانيَّة؛ لأنَّها تذكير دائم بأنَّ الله أقرب إلى الإنسان من نفسه، يعلم سره ونجواه، ويشهد عليه في كل حالاته. يقول -تعالى-: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾ [الحديد: ٤]. هذه المعيَّة الإلهيَّة ليست فقط معيَّة معرفة، بل معيَّة إحاطةٍ وعلمٍ وحسابٍ، ممَّا يجعل الإنسان يعيش في يقظة قلبية مستمرَّة.

ثَانِيًا: الرقابةُ الذَّاتيَّةُ جوهرُ الإحسَانِ:

حين سُئل النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم عن المُنجيات، قال: «خفِ الله في السر كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك»[1]. فهذا هو لُبُّ الرقابة الذاتية: أنْ تعمل وأنت تشعر أن الله أمامك، فإن غاب عنك هذا الشعور، فلتكن على يقين أنه يراك.

١ - أحمد بن خالد البرقي: المحاسن، ج١، ص٣.

ثَالثًا: ثمَراتُ الرقابَةِ الذَّاتيَّة في الحَياةِ اليَوميَّة:

١. في العمل: تجعل الإنسان يُتقن عمله حتى ولو لم يكن هناك مديرٌ يراقبه.

٢. في العلاقات: تمنع الغش والخيانة، لأنَّ الإنسان يراقب الله قبل أن يخشى الناس.

٣. في المال: تحفظ الإنسان من أكل الحرام، لأنَّه يعلم أن الله يحاسبه على كل فِلس.

رَابِعًا: تَحذيرُ القُرآن غِياب الرقَابَةِ الذَّاتيَّةِ:

حين تغيب الرقابة الذاتية:

١ - تنتشر الخيانة:

يقول -تعالى-: ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾} [غافر: ١٩].

حتى نظرات العين الخائنة لا تخفى على الله، فكيف بالأعمال الظاهرة؟

٢ - يتجرَّأ الإنسان على الظلم:

يقول -تعالى-: ﴿**إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا**﴾ [الأحزاب: ٧٢]. فالجهل والظلم وجهان لغياب الرقابة، لأنَّ الإنسان إذا لم يراقب الله، طغى وظلم.

خَامِسًا: نمَاذِج قُرآنِيَّة للرقَابَةِ الذَّاتيَّة:

١ - يوسف عليه السلام: رقابة في الخفاء قبل العلن:

حين غلَّقت امرأة العزيز الأبواب، لم يمنعه من الخطيئة إلا شعوره العميق بأنَّ الله يراه: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ... مَعَاذَ اللهِ**﴾ [يوسف: ٢٣]. هذه الرقابة الذَّاتية جعلت يوسف ينجو من الفتنة رغم غياب كل الرقباء.

٢ - لقمان يَعظُ ابنه بالرقابة الذَّاتية:

يقول -تعالى- على لسان لقمان: ﴿**يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ... يَأْتِ بِهَا اللَّهُ**﴾ [لقمان: ١٦]. يعلّم لقمان ابنه أنَّ الرقابة الحقيقية هي شعور داخلي بأن الله يرى حتى أصغر الأعمال في أدق الأماكن.

٣ - النبيُّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم: المَثل الأعلى في الرقابة والإحسان:

كان النَّبي يتفقد أصحابه ويسألهم عن أحوالهم، لكنه علَّمهم أنَّ الرقابة الأولى هي رقابة الله. قال لأحد أصحابه: «اتق الله حيث ما كنت»[1]. هذه الرقابة تجعل من المؤمن أمينًا حتى لو كان وحده في صحراء لا يراه فيها أحد.

---

١ - محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص١٨٦.

سَادِسًا: كيف نَبني الرقابةَ الذَّاتيَّةَ في حياتِنا وفقَ القُرآنِ؟

١ - تعميق الإيمان بأنَّ الله عليمٌ خبيرٌ:

يقول -تعالى-: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤]. الإيمان بأنَّ الله يعلم كل شيء هو أساس بناء الرقابة الذاتيَّة.

٢ - تربية النَّفس على مُحاسبة الذَّات:

يقول -تعالى-: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]. محاسبة النفس تجعل الإنسان دائم الرقابة على أفعاله.

٣ - الإكثار من ذكر الله:

يقول -تعالى-: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. الذكر المستمر يجعل قلب الإنسان حيًّا حاضرًا، مستشعرًا لرقابة الله.

٤ - تَذكُر يوم الحساب:

يقول -تعالى-: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]. استحضار مشهد القيامة يجعل الإنسان يراقب أعماله في كل لحظة.

سَابِعًا: ثمارُ الرقابةِ الذاتيَّةِ في حياة المُجتمعِ:

١. الأَمانة في المعاملات: لأنَّ كلَّ شخص يراقب الله قبل أن يُراقب القانون.

٢. انتشار العدل: لأنَّ الرقابةَ الذاتيَّةَ تمنع الظلم حتى في غيابِ العقوبات القانونيَّة.

٣. قُوة المؤسسات: لأنَّ المؤسسات التي يبنيها أشخاص مخلصون تصبح قويةً ومستقرةً.

في الختام، إنَّ الرقابةَ الذاتيَّةَ هي جوهر الإحسان ولُبُّ العبادة، وهي التي تجعل من المؤمن إنسانًا أمينًا وصادقًا حتى في غياب العيون. من عاش بالرقابة الذاتية، عاش في طمأنينة، لأنَّ قلبه عامر بحضور الله، ومن غابت عنه الرقابة الذاتيَّة، ضاع بين الناس وإن ظنَّ نفسه آمنًا.

◆ المَبحَثُ السَّابِعُ:

الدِّين في الجَامعةِ.. القِيم القُرآنيَّةُ في طلبِ العِلمِ والعَلاقَاتِ الجامعيَّةِ

ليست الجامعة مجرد مكان للدراسة، بل هي ميدان واسعٌ لتشكيل الشخصيَّة، واكتساب المعرفة، وبناء العلاقات التي تمتد تأثيراتها إلى مستقبل الإنسان وحياته العمليَّة. في هذا الصرح العلمي، تتجلَّى القِيم الإيمانيَّة في طلب العلم، وفي كيفيَّة التعامل مع الأساتذة والزملاء، وفي الالتزام بالأمانة العلميَّة، وفي احترام التنوع الفكري والثقافي. يُقدم

القرآن الكريم، الذي جعل العلم أساسًا لكرامة الإنسان ورفعته، مِنهجًا شاملاً لكل من يدخل هذا العالم الأكاديمي، فيجعل من الدراسة عبادة، ومن السلوك الجامعي نموذجًا للأخلاق الرفيعة.

أَوَّلًا: طَلَبُ العلمِ في القُرآنِ.. عبادةٌ عقليَّةٌ ورُوحيَّةٌ:

يرفع القرآن من مكانة العلماء ويجعل طلب العلم طريقًا إلى التَّقوى؛ لأنَّ العلم الذي يُطلب بنيَّة صالحة يكون نورًا لصاحبه في الدنيا والآخرة. يقول -تعالى-: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر: ٩]. فالمساواة تنتفي بين العالِم والجاهل؛ لأنَّ العلم يمنح الإنسان بصيرة تجعله أقرب إلى معرفة الحق، وأقدر على خدمة مجتمعه. وحينما أمر الله نبيَّه بطلب المزيد من شيء، لم يأمره إلَّا بطلب المزيد من العلم: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا**﴾ [طه: ١١٤]. وهذا يجعل من طلب العلم عبادة مستمرة لا تنتهي بنهاية الدراسة الجامعيَّة، بل تمتد طيلة حياة الإنسان.

ثَانيًا: الأمانة العلميَّة جوهرُ البَحثِ الأَكادِيمِي وفقَ المِنهَجِ القُرآنِيّ

إنَّ الأمانة العلميَّة هي أساس العمل الأكاديمي، فهي تفرض على الطالب أن يكون صادقًا في بحثه، مُنصفًا في نقله، مخلصًا في عمله. يقول

-تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]. تعني الأمانة العلميَّة نسبة الأقوال إلى أصحابها، والابتعاد عن السرقة العلميَّة، وتجنب التَّلفيق أو التزوير في النتائج. ويحذر القرآن من كتمان الحقائق العلمية أو تحريفها؛ لأنَّ ذلك خيانة للعلم والمجتمع معًا: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]. فالطالب الذي يزوّر بحثًا أو يغش في الامتحان، يخون نفسه أوَّلًا قبل أن يخون الجامعة.

ثَالثًا: العَلاقات الجَامعيَّة.. أَخلاقٌ قُرآنيَّةٌ تَبني بيئةً عِلميَّةً صِحيَّةً:

ليست الحياة الجامعيَّة مجرد دراسةٍ نظريَّةٍ، بل هي ميدان للعلاقات الإنسانيَّة التي تتشكل بين الأساتذة والطلاب، وبين الطلاب بعضهم البعض. يرسم القرآن لهذه العلاقات إطارًا يقوم على الاحترام المتبادَل، والتَّعاون على البرِ، وتجنب النزاعات التي تعكر صفو الحياة العلميَّة.

١ - الاحترامُ المتُبادَل بين الطالبِ والأُستاذِ

إنَّ العلاقة بين الطَّالب وأستاذه هي علاقةُ أدبٍ وتقدير؛ لأنَّ الأستاذ هو ناقل العلم، ووسيط المعرفة. يقول -تعالى-: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. واحترام الأستاذ ليس مجرد مجاملةٍ، بل هو جزء من احترام العلم نفسه.

٢ - الأُخوَّة والزَّمالة بين الطُّلاب:

يؤكد القرآن على أنَّ العَلاقات بين المؤمنين تقوم على المحبَّة والتَّعاون، ويقول: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: ١٠]. وهذا يعني أنَّ الطالب يجب أن يكون عونًا لزميله، يتبادل معه المعرفة، ويتعاون معه في البحث، ويبتعد عن المنافسة غير الشريفة التي تقوم على الحسد أو الغش.

٣ - أَدبُ الحوارِ العِلمِي وتَقبُّل الاختلاف:

إنَّ الجامعة هي ميدان للنقاشاتِ الفِكريَّةِ، والقرآن يُعلّمنا كيف يكون الحوار قائمًا على الأدب والحجة، لا على التَّشنج والإساءة. يقول -تعالى-: ﴿**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل: ١٢٥]. فالطالب المؤمن يجادل بالمنطق والحكمة، ويقبل الرأي الآخر إذا كان صوابًا، ويرد عليه بالحجة إذا كان خاطئًا.

رَابعًا: التَّنوعُ الثَّقافي فِي الجَامعَة.. نعمةٌ قُرآنيَّةٌ لا تَهدِيد:

إنَّ الجامعةَ بيئةٌ متنوعةٌ تضم طلابًا من خلفيَّات مختلفة، والقُرآن يدعو إلى اعتبار هذا التَّنوع فرصة للتعلُّم والتَّعارف، لا سببًا للفرقة والصراع. يقول -تعالى-: ﴿**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾[الحجرات: ١٣]. فالطالب القرآني يرى في الاختلاف

الثقافي فرصة لتوسيع مداركه، وتعلم مهارات التواصل مع الآخرين، والتعرف على طرق تفكيرٍ جديدةٍ.

خَامِسًا: الالتِزامُ بِالقَوانِين الجَامِعيَّةِ: طَاعةٌ مُنبَثِقةٌ من الإِيمانِ بالنِّظامِ:

وُضعت القوانين الجامعيَّة لتنظيم الحياة العلمية وضمان العدالة بين الطلاب، والالتزام بها هو جزء من الطاعة للنظام العام التي أمر بها القرآن: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩]. والطالب الذي يحترم القوانين الجامعية من حضورِ المحاضرات، وتسليم الواجبات في وقتها، والالتزام بآداب المكتبة والمعامل، هو طالبٌ يعكس التزامه الإيماني في سلوكه اليومي.

سَادِسًا: الوقتُ في الجَامعةِ: نعمةٌ لا تُهدر وفق الرُّؤيةِ القُرآنيَّةِ:

إنَّ الوقت هو رأس مال الطالب، والقرآن يُحذر من إضاعته، لأنَّ ضياع الوقت هو ضياعٌ للفرص التي لن تعود. يقول -تعالى-: ﴿**وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ [العصر: ١-٢]. فالطالب القرآني يُنظّم وقته بين المحاضرات والمذاكرة والراحة، ولا يترك وقته يضيع في اللهو غير النافع أو التسويف.

سَابِعًا: آفاتُ الحياةِ الجَامعيَّةِ التي يُحذر منها القرآنُ:

١. الغش في الامتحانات: وهو من صور أكل أموال الناس بالباطل، يقول -تعالى-: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ**﴾ [البقرة: ١٨٨].

٢. التَّحزُبات والعصبيَّات: التي تؤدي إلى الفُرقة، يقول -تعالى-: ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ [الأنفال: ٤٦].

٣. نَشرُ الشَّائعات والإساءة إلى الآخرين: يقول -تعالى-: ﴿**إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ [الحجرات: ٦].

ثَامِنًا: نمَاذج قُرآنيةٌ تُلهم الطَّالبَ الجامعيَّ:

١ - إبراهيم ﷺ: نمَوذج المُفكر المتأمل

بدأ رحلته العلميَّة بالتَّأمل في الكون، يبحث عن الحقيقة بعقلٍ مفتوحٍ، حتى وصل إلى الإيمان الراسخ: ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا**﴾ [الأنعام: ٧٦]. فالطالب الجامعي يتعلم من إبراهيم أنَّ الشَّك العلمي هو طريق اليقين إذا كان مقرونًا بالبحث الصَّادق.

٢ - مُوسى ﷺ والخضر: نمَوذَجُ التَّواضُع العِلمِيّ

رغم كونه نبيًّا، لم يتردد موسى في طلب العلم من العبد الصالح

قائلاً: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]. فالتَّواضع العِلمي أساس النجاح في الحياة الأكاديميَّة.

٣ - يوسُف ﷺ: نمَوذجُ الكفاءةِ والإتقَان:

حينما تولّى يوسف إدارة خزائن مصر، أدارها بحكمة وكفاءة، قائلاً: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]. إنَّ الطَّالب الجامعي يتعلَّم من يوسف أنَّ الشهادة ليست مجرد ورقة، بل هي مسؤوليَّة وكفاءة يجب أن تظهر في العمل.

في الختام، إنَّ الدينَ في الجامعة هو حضورٌ خُلُقِيٌّ ومعرفي مستمر، يجعل من الحياة الجامعيَّة تجربة تربويَّة مُتكاملة؛ حيثُ يكون طلب العلم عبادةً، والبحث العلمي أمانةً، والعلاقات الإنسانيَّة ميدانًا للتَّقوى والإحسان. الطالبُ الذي يدخل الجامعة بروح قرآنيَّة، لا يخرج منها بشهادة فقط، بل يخرج منها بعقلٍ واعٍ، وقلبٍ صالح، وروحٍ مستعدة لبناء الحياة على أساس من العلم والإيمان.

◆ المَبحَثُ الثَّامنُ:
الدِّينُ والتَّرفيهُ.. ضَوابطُ المُتعةِ والتَّسليةِ في ضَوءِ القُرآنِ الكَريمِ

إنَّ التَّرفيهُ في الرُّؤيةِ القرآنيَّة جزءٌ أصيلٌ من حياة الإنسان، لكنَّه ليس

غايةً في حد ذاته، بل وسيلة لاستعادة النشاط وتجديد الطاقة لمواصلة رحلة الإعمار والسَّعي في الأرض. لا ينظر الإسلام إلى المتعة على أنَّها أمر مذموم، بل يعتبرها حاجةً فطريَّة متى التزمت بحدود الاعتدال، ولم تتعارض مع القِيم الإيمانية. ولهذا، يضع القرآن الكريم ضوابط واضحة تجعل من الترَّفيه مساحة للفرح المباح، لا مدخلاً للغفلة والمعصيَّة.

أَوَّلًا: الترَّفيهُ فِي القُرآنِ: مساحةُ الفَرحِ التي لا تُلغي الهَدفَ:

لا يدعو القرآن إلى حياةٍ جافة خالية من البهجة، بل يفتح للإنسان أبواب الفرح المشروع، ويذكّره بأنَّ التَّوازن هو مفتاح الحياة السعيدة. يقول -تعالى-: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**﴾ [الأعراف: ٣٢]. في هذه الآية يرفض القرآن التشدد الذي يحرم على الإنسان الاستمتاع بالحياة؛ لأن الزينة والمتع الطيبة جزء من النعم الإلهية التي يجب أن تُشكر.

ويقول -تعالى- في سياق آخر، رابطًا بين متع الدنيا ونعم الله: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾ [القصص: ٧٧]. فالاستمتاع بالحياة ليس عيبًا ما دام الإنسان يضع الآخرة في قلبه، ويجعل من الترفيه وسيلة لتجديد الهمة، لا غايةً تنسيه واجباته ومسؤوليته تجاه ربه ومُجتمعه.

ثَانِيًا: ضَوابطُ التَّرفيهِ في ضَوء القِيم القُرآنيَّة:

كي يكون الترفيه مشروعًا ومباركًا، يضع القرآنُ معايير تجعل من المتعة طريقًا إلى الطمأنينة لا سببًا للغفلة:

١ - الاعتدال وعدم الإفراط:

يحذّر القرآن من الإفراط في اللهو الذي يبعد الإنسان عن هدفه الأسمى: ﴿**وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا**﴾ [الأنعام: ٧٠]. فالتَّرفيه المفرط الذي يجعل الإنسان يعيش في دوامة اللهو هو انحراف عن ميزان الحياة المتزن.

٢ - البعد عن الحرام في اللهو:

كل ترفيه يحمل في داخله معصيَّةً أو أذى للنفس أو للآخرين هو ترفيهٌ محرَّمٌ. يقول -تعالى-: ﴿**إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ... رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**﴾ [المائدة: ٩٠]. فالخمور والميسر كانت من أشهر أنواع اللهو التي تفسد العقل وتضيّع المالَ وتفكك العلاقات الاجتماعيَّة.

٣ - عدمُ إضاعةِ الوقتِ فيما لا ينفَع:

إنَّ الوقتَ هو أعظم رأس مال للإنسان، واللهو الذي يسرق العمر دون فائدة هو خسارة للحياة. يقول -تعالى-: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ**

عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥]. فلا ينبغي أن يتحوَّل الترفيه إلى عبثٍ يُبدد العمرَ بلا معنى.

٤ - احترامُ القِيمِ والأخلاق في التَّرفيه:

إنَّ التَّرفيه الذي يهدم القِيم أو ينشر الفساد الخُلُقي هو لهوٌ مذموم. يقول -تعالى-: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾ [الأنعام: ١٥١]. وهذا يشمل أشكال التَّرفيه التي تعتمد على العُنف، أو الإسفاف، أو انتهاك كرامة الإنسان.

ثَالثًا: نمَاذِج قُرآنيَّةٌ للتَّرفيهِ المَشروعِ:

يُذكِّرنا القرآن بأنَّ التَّرفيه جزء من حياة الإنسان، حتى في سِياقات القصص القُرآني نجد إشاراتً إلى لحظات الفرح والمُتعة التي عاشها الأنبياء والصالحون:

١ - الفَرح بَعد الإِنجازِ والعَملِ:

حين أنقذ الله بني إسرائيل من فرعون، كان الفرح مشروعًا؛ لأنَّه جاء بعد صبر طويل: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَـٰذَا**﴾ [الأعراف: ٤٣]. وهذا يُعلّمنا أنَّ الفرح الحقيقي يأتي بعد تعب وجد، لا من لهو بلا معنى.

٢ - التَّرفيهُ الأُسري:

حين دخل يوسف على أبيه يعقوب بعد سنوات الفراق، كانت لحظة الفرح العائلي عظيمة، وهي من أجمل صور التَّرفيه الأسري التي تجمع القلوب: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ**﴾ [يوسف: ١٠٠]. فالتَّرفيه الأُسري الذي يقوّي الروابطَ العائِليَّة هو من أحب أنواع المتُعةِ عندَ الله.

٣ - التَّنزُّه والتَّأمُّل في الطبيعةِ:

يدعو القرآن الإنسان إلى التَّرفيه من خلال التأمل في خلق الله؛ لأنَّ ذلك يجمع بين المتُعة الرُّوحيَّة والجسديَّة: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا**﴾ [العنكبوت: ٢٠]. إنَّ الرحلات والتَّأمُّل في الطبيعة من أرقى أنواع التَّرفيه التي تعيد إلى الإنسان صفاء روحه.

رَابعًا: التَّرفِيهُ المتُزنُ في حياةِ النَّبي وأَهلِ البيَتِ عليهم السلام:

كاَن النَّبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام نَموذجًا للتوازن في الترفيه، فكانوا يمزحون، ويفرحون، ويمارسون الأنشطة التي تدخل السرور على قلوب من حولهم، دون أن يخرجوا عن حدود الأخلاق والقِيم.

١. النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم والمزاح الطيب: كان يمزح مع أصحابه لكنَّه لا يقول إلا حقًّا، فعن يونس الشيباني قال: قال أبو عبد الله

عليه السلام: "... إنَّ المداعبة من حسن الخلق وإنَّك لتدخل بها السرور على أخيك ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يداعب الرجلَ يريد أن يسرَّه"[١].

٢. الإمام علي عليه السلام: ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «روّحوا أنفسكم ببديع الحكمة، فإنَّها تكل كما تكل الأبدان»[٢]، أي امنحوا أنفسكم لحظات من الراحة الفكريَّة والروحيَّة للنَّفس لكي تجدد طاقتها، فالتَّرفيه ليس فقط بالمزاح، بل بكل ما يجدّد الفكر والروح.

خَامسًا: أَنواعُ التَّرفيهِ التي يُحبُّها اللهُ وفق القِيَم القُرآنيَّةِ:

١. **التَّرفيهُ الأُسري:** الجلسات العائلية، والألعاب التي تجمع الأهلَ والأصدقاء.

٢. **التَّرفيه الثَّقافي:** القراءة والشعر والفن الهادف والمسرح المحافظ.

٣. **التَّرفيهُ الرياضيُّ:** الرياضة التي تُنشط الجسدَ وتحفظ الصحة.

٤. **التَّرفيه الرُّوحي:** الرحلات، التأمّل والسياحة في خلق الله.

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص٦٦٣.

٢ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج١، ص٤٨.

سَادِسًا: الآفاتُ التي تُحوّل التَّرفيهَ إلى خطر:

١. تحويل التَّرفيهِ إلى إِدمَان: بحيثُ يشغل إنسان عن واجباته الدينيَّةِ والدُّنيَويَّةِ.

٢. استغلال التَّرفيه لنشرِ الفسادِ: كالأعمال الفنيَّة التي تُروجُ للانحرافَاتِ الخُلُقِيّة.

٣. إنفاقُ المالَ في اللهو المحرم: كالرهانات والميسر، التي تُضيّعُ المالَ وتُفسد القلوب.

في الختام التَّرفيه في القرآن ليس ترفًا فارغًا، بل هو جزءٌ من التَّوازن الذي يجعل الحياة أكثر سعادةً ومعنى. عندما يلتزم الترفيه بضوابط الإيمان، يصبح متعةً تحيي الروح ولا تقتلها، وتبني الشخصيَّة ولا تهدمها. ومن يجعل القرآن هاديه في ترفيهه، يعيش فرحه في الدنيا، ويجمع معه فرح الآخرة.

◆ المَبَحثُ التَّاسِعُ:
الدّينُ فِي أَفرَاحِنا وأَحزَانِنا

إنَّ الحياة الإنسانيَّة رحلة تتأرجح بين الحُزن والفرح، بين الألم والسرور، بين الفقد واللقاء، وهذه الازدواجية ليست خلَلًا في طبيعة

الإنسان، بل هي جوهر وجوده. فالإنسان كائن يحمل في قلبه مشاعرَ متناقضةً، لكنَّه في حاجة دائمة إلى ميزان يضبط هذه المشاعر حتى لا تطغى إحداها على الأخرى. هنا يأتي القرآن الكريم ليقدّم تصوراً متكاملاً للمشاعر الإنسانيَّة، لا يكبتها ولا يطلقها بلا قيود، بل يُهذبها ويجعلها جزءًا من رحلة الإيمان؛ لأنَّ الحزن الصابر لونٌ من ألوان العبادة، والفرحَ الشَّاكرَ شعيرةٌ قلبيَّةٌ تقود إلى مزيد من القرب من الله.

في زمننا المعاصر، طغت ثقافة تمجيد المُتعة والفرح إلى حد الإفراط، حتى صار الإنسان يقيس نجاحه بمقدار سعادته الظاهرة، ويتجنَّب كلَّ حديث عن الألم أو الحزن وكأنَّه وصمة عار يجب الهروب منها. وفي المقابل، هناك من غرقوا في أحزانهم حتى صارت حياتهم ليلاً طويلاً بلا فجر، واستسلموا لليأس وكأنَّه قدر محتوم. يمثل كلا المسارين انحرافًا عن فطرة الله التي فطر الإنسان عليها؛ لأنَّ الإنسان السويَّ هو الذي يعرف أنَّ الحياة ليست فرحًا دائمًا ولا حزنًا مستمرًّا، بل هي مزيج متوازن من المشاعر، يحزن قلبه لكنه لا ييأس، ويفرح قلبه لكنه لا يطغى.

أَوَّلًا: الحُزنُ والفَرَحُ في القُرآنِ.. مَشاعِرُ أَصِيلةٌ لا مَعِيبَة

لا يُعامل القرآن الكريم الحزن أو الفَرح كعيبٍ أو ضعفٍ، بل يعترف بهما كجزءٍ أصيلٍ من طبيعة الإنسان. فنجد في قصص الأنبياء أحزانًا عميقةً، لكنَّها كانت دائمًا مغمورة بالصبر والرجاء، كما نجد أفراحًا

صافية، لكنَّها كانت دائمًا مقترنة بالشكر لله. ففي قصة النبي يعقوب عليه السلام، نرى حزنًا أبويًّا غامرًا على فقد ابنه يوسف، لكنَّه ظلَّ حزنًا يحمل معنى الإيمان العميق: ﴿**وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ [يوسف: ٨٤]. هنا، لا يلوم القرآن يعقوب على حزنه، بل يعرض حزنه كنموذج للإنسان الذي يحزن قلبه لكنَّه يمسك لسانه عن الشكوى إلا لله.

وفي المقابل، نجد القرآن يُمجّد الفرحَ الذي يحمل معنى الامتنان والسرور بنعمة الله، فيقول: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا**﴾ [يونس: ٥٨]. هذا الفرح ليس نشوةً فارغةً، بل هو شعور بالبهجة يحمل في طِياتِه الشُّكر لله، والاعتراف بفضله، وهو فرح يبني الروح ولا يفسدها.

ثانِيًا: عندما يَنحَرفُ الحُزن أو الفرحُ عن مَسَارِه الطَّبيعِي

يحذِّر القرآن من أن ينقلب الحزن إلى يأس، أو يتحوَّل الفَرح إلى غرور؛ لأنَّ الحزن إذا جاوز حده قتل الأمل، والفرح إذا انفلت من قيده أغلق باب التَّواضُع. يقول تعالى مُحذرًا من الحزن الذي يشل الإرادة: ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ**﴾ [آل عمران: ١٣٩]. هنا، ينهى القرآن عن الحزن الذي يكسر النفس؛ لأنَّه حزن يقود إلى القعود واليأس.

أمَّا عن الفرح الذي يهوي بصاحبه إلى الغُرور، فيُصوّر القرآن نموذج (قارون)، الذي اغترَّ بماله وفرح فرحًا جعله ينسى مصدر نعمته: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**﴾ [القصص: ٧٦]. هذا الفرح المذموم هو الذي يجعل الإنسان يتوهم أنَّه هو صانع نجاحه، فيسقط في وحل الكِبر وينسى شكر المنعم.

ثَالثًا: بَين ثَقافةِ العَصرِ والمِيزَانِ القُرآنِي.. نقدٌ للفرح والحزن المعاصرين

صنع المُجتمع الحديث ثقافة مشوهة للمشاعر، فرفع من شأن الفرح السطحي القائم على الاستهلاك والتَّفاخر، حتى صارت الأفراح مجرد مناسبات للاستعراض؛ حيثُ تُقاس قيمة العرس بمقدار الإنفاق، وتُحوَّل الأعياد إلى سباق تسوُّق. في المقابل، صارت الأحزان استعراضًا للألم، يُنشر على وسائل التواصل الاجتماعي، ويُبالغ فيه وكأنَّه تجارة بالكآبة.

يَقدّم القرآنُ بديلاً لكل هذا العبث العاطفي؛ لأنَّه يضع الفرح والحزن في سياقهما الروحي الصحيح. الفرح الحقيقي في القرآن هو ما يقود إلى الطُمأنينة، والحزن الحقيقي هو ما يقود إلى التأمل والعودة إلى الله. إنَّه ميزان يجعل من المشاعر جزءًا من رحلة الإنسان الإيمانيَّة، لا مجرد حالات مزاجية عابرة.

رَابعًا: الحُزنُ والفَرحُ بين الصبرِ والشُّكر.. عِبادَاتٌ قلبيَّةٌ تُغذِّيَ الرُّوحَ

ما يجعل القرآن مُتفردًا في معالجته للمشاعر هو أنَّه لا يفصلها عن العِبادة، فالحزن إذا اقترن بالصَّبر صار عبادة، والفرح إذا اقترن بالشُّكر صار عبادة. لهذا، نجد القرآن دائمًا يقرن الحزن بالصبر، ويقرن الفرح بالشُّكر، كأنَّما يقول للإنسان: لا تدع المشاعر تمر عليك مرورًا عابرًا، بل اجعلها جزءًا من صلتك بالله.

في لحظات الحزن، يُعلّمنا القُرآن أن نقولَ: ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٦]. وهذه ليست مجرد عبارة مواساة، بل هي إعلان بأنَّ الحُزن جزء من رحلة الإنسان نحو الله، وأنَّ كلَّ ما نفقده مردُّه إلى الله. وفي لحظات الفرح، يعلمنا القرآن أن نقول: ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾ [النحل: ٥٣].

وهذه ليست مجرد عبارة شكر، بل هي تذكير بأنَّ الفرح الحقيقي هو الذي يجعل القلب ممتلئًا بذكر المُنعم، لا فقط بالنعمة.

خَامسًا: نَحو مشاعر مُتَّزنَةٍ.. كيفَ يَصنعُ القرآنُ شخصيَّةً مُتوازِنةً عَاطفيًّا؟

يصنع القرآن، من خلال توازناته الدَّقيقة، شخصيَّة قادرةً على الفرح دون طُغيان، وعلى الحزن دون انهيار. فالإنسان الذي يتربَّى على القرآن

لا يفقد إنسانيَّته، بل يفهم أنَّ الدموع ليست ضعفًا، وأنَّ الابتسامة ليست غُرورًا، وأنَّ قلبَ المؤمن يسع الحُزن لكنَّه لا ينكسر، ويحتوي الفرح لكنه لا يتكبر.

هذه هي الروح التي تحتاجها مجتمعاتنا اليوم، مجتمعات أرهقتها المُبالغات العاطفيَّة، وأفقدتها التوازن بين الفرح والحزن. لا يريد القرآنُ أن يسلبنا الفرح، بل يريد أن يمنحنا فرحًا أعمق، فرحًا يحمل معنى الامتنان لله. ولا يريد أن يمنع عنا الحزن، بل يريد أن يجعل حزنَنَا طريقًا إلى النُّضج الرُّوحي، وحافزًا لمواصلة المسير.

إنَّ التَّوازن بين الحزن والفرح هو فنٌّ روحي يتعلَّمه الإنسان من مدرسة القرآن، حيثُ تصبح كل لحظة في حياته، سواء كانت فرحًا أو حزنًا، محطة قرب من الله. فالفرح الذي لا يقود إلى الشكر فراغ، والحزن الذي لا يقود إلى الصبر تيه. وبين الشُّكر والصبر يولد الإنسان من جديد، إنسانًا يحمل قلبًا حيًّا، يتذوق لذة الفرح برضا، ويتحمل مرارة الحزن بثبات، ويعيش حياته كلها تحت ظل قوله -تعالى-: ﴿**لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ**﴾ [الحديد: ٢٣].

سَادِسًا: الفَرحُ في القُرآنِ.. نعمةٌ لها حُدودٌ

إنَّ الفرح في التَّصوُّر القُرآني ليس شعورًا عابرًا، بل هو حالة روحية تحمل دلالات عميقة، تتجاوز مجرد الابتهاج اللحظي إلى معنى أشمل

يربط بين القلب والعقل والروح. إنَّه تعبيرٌ عن الامتنان، وابتهاج بالحياة، لكنَّه أيضًا اختبار يفضح معادن النُّفوس: فمن الناس من يجعل الفرح طريقًا للشكر والإحسان، ومنهم من يحوله إلى غفلة واستعلاء. والقرآن، بمنهجه المتوازن، لا يطلب من الإنسان أن يكبت فرحه، بل يهذبه ويضع له حدودًا تحميه من الانزلاق إلى البطر أو الغرور.

إنَّ أوَّل ما يلفت في الطرح القرآني هو التفريق الواضح بين نوعين من الفرح: فرحٌ محمودٌ يقود إلى الشُّكر، وفرح مذموم يقود إلى الغفلة. وهذه التَّفرقة ليست شكليَّة، بل جوهريَّة؛ لأنَّها تربط الفرح بمنطلقاته وغاياته: فالفرح الذي يصدر من قلب متصل بالله يكون طاقة إيجابية تحرك الإنسان نحو الخير، أمَّا الفرح الذي ينطلق من هوى النفس فإنه يغلق بصيرة الإنسان ويجعله عبدًا للذَّة العاجلة.

١. الفَرحُ المَمدُوحُ.. فَرحُ الروح قَبلَ الجَسدِ:

إنَّ الفرح الذي يُحبُّه الله هو ذلك الفرح الذي يكون ناتجًا عن معانٍ روحية عميقة، لا مجرد نشوةٍ ماديَّةٍ زائلة. يحمل هذا الفرح في داخله معنى الامتنان لله، والشعور بكرمه، والإحساس بغناه عن الدنيا، لأنَّ القلب الممتلئ بالله يفرح بما هو أبقى من المادة. ولهذا، حين يدعو القرآن إلى الفرح، فإنَّه يربطه بأسباب روحيَّة سامية، كالعلم والهدايةِ والرضا بفضل الله: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا**﴾[يونس: ٥٨].

هذا التَّوجيه الإلهي يجعل الفرحَ مرتبطًا بشيءٍ ثابتٍ لا يتغيَّر: فضل الله ورحمته. هنا يصبح الفرح عبادة قلبيَّة؛ لأنَّ الإنسانَ يشعر أنَّ ما عند الله أعظم من كل ما يمكن أن تمنحه الدُّنيا. وهذا الفرح؛ لأنَّه قائم على فضل الله، لا يزول بزوال الأسباب الماديَّة، بل يرافق الإنسان حتى في لحظات الألم؛ لأنَّه مبني على علاقةٍ روحيَّة متينة مع الله.

٢. الفَرحُ المَذمُومُ.. حين يُصبح الفرحُ قَيدًا على الرُّوحِ:

على النَّقيضِ، يُقدّم القرآن صورة أخرى للفرح، لكنَّه فرح يحمل في داخله بذور الهلاك. إنَّه الفرحَ الذي ينطلق من الشعور بالاستغناء عن الله، فرح يَفيض بالأنانيَّةِ، ويقود إلى التَّكبر والطُّغيان. نموذج قارون هو الصُّورةُ الأبرز لهذا النوع من الفرح، إذ كان فرحه بمالِه تعبيراً عن غروره وجحوده: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].

هذا النمط من الفرح مَذمومٌ لأنَّه يعمي القلب عن رؤية الحقيقة: حقيقة أنَّ النعم ليست ملكًا ذاتيًّا بل هي منحة إلهيَّة. وهو فرح يجعل الإنسان في حالة من النَّشوة التي تفصله عن واقعه وعن معاناة من حوله.

٣. لِماذا يَذُم القُرآنُ الفرحَ أحيانًا؟

قد يبدو للبعض غريبًا أن يذم القرآن الفرح، مع أنَّه شعورٌ إنسانيٌّ طبيعي، لكنَّ الذَّم هنا ليس للفرح كإحساس، بل لطريقة التعامل معه.

الفرح يصبح مذمومًا عندما:

- يغيب عن صاحبه الشعور بالشُّكر: لأنَّه ينسب الفضلَ إلى نَفسِه لا إلى الله.
- يتحوَّلُ إلى بطرٍ وإسراف: حيثُ يصبح الفرح مبررًا للإفراط في الملذات دون وعي أو مسؤولية.
- يقود إلى الغرور والتعالي على الآخرين: كما فعل قارون حين قال مُغتراً: ﴿**إِنَّمَا أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ**﴾ [القصص: ٧٨].

٤. الفرح المشروع في المناسبات.. كيف يرسم القرآنُ حُدودَ الاحتفالِ؟

لا يمنع القرآن التعبير عن الفرح في الأعياد والمناسبات، بل يعترف بأنَّ للإنسان حاجة إلى الاحتفال والسرور، لكنَّه يضع لهذا الفرح ضوابط تضمن بقاءه في دائرةِ الإيمان والقِيَم:

- فرحُ الاعتدالِ لا الإسراف: لأنَّ الإفراط في التَّرفيه يَقتل جوهرَ الفرحِ ويُحوّله إلى لهوٍ فارغٍ. ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا**﴾ [الأعراف: ٣١].
- فَرحٌ يُحيِي روحَ الجَماعةِ: حيثُ يكون الفرحُ فرصةً لصلةِ الأرحام، وإدخال السُّرور على الآخرين، خاصة الفقراء والمحتاجين.
- فرح يُذكّر بالمُنعم قَبل النعمة: فالمؤمن يبدأ فرحه بالحمد

ويختمه بالشُّكر، لأنَّ سر الفرح الحقيقي هو شعور القلب بفضل الله.

٥. الفَرحُ كاختبارٍ إيمانيّ.. كيف يصنعُ القرآنُ شَخصيَّةً مُتزنَةً؟

ما يميز الطرح القرآني هو أنَّه يجعل الفرح اختبارًا روحيًّا، فكما يُختبر الإنسان بالصبر في الحزن، يُختبر أيضًا بالشُّكر في الفرح. والإنسان الناضج إيمانيًّا هو الذي لا يفقد توازنه في الحالتين: لا يكسره الحزن، ولا يطغيه الفرح. يقول تعالى، واضعًا قاعدة ذهبية للتوازن العاطفي: ﴿**لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ**﴾ [الحديد: ٢٣].

هذه الآية ليست دعوة إلى كبت المشاعر، بل إلى تحريرها من التعلق الزائد بالأشياء، لأنَّها تقول للإنسان: لا تجعل الحزن على الفقد يسرق منك حياتك، ولا تجعل الفرح بالمكاسب يجعلك تغفل عن حقيقتك.

٦. نَقدُ ثقافةِ الفَرحِ الاستهلاكيِ المُعاصِر.. قِراءَةٌ قرآنيَّةٌ للفَرحِ المَفقُودِ

في عالم اليوم، تحوَّل الفرح إلى سلعة تُباع وتُشترى. تحاصر الإعلانات والشركات الإنسان بفكرة أن السعادة يمكن شراؤها: سيارة فارهة، هاتف جديد، حفلة صاخبة ... لكن هذه الثقافة تُنتج أفراحًا زائفةً تنتهي بسرعة لتترك الإنسان فارغًا أكثر من ذي قبل.

يحذّر القرآنُ من هذا النوع من الفرح القائم على الاستهلاك: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]. اللهو هنا ليس مجرد تسلية، بل هو انشغال متواصل بجمع الأشياء بحثًا عن فرح لن يأتي أبدًا؛ لأنَّ فرح الاستهلاك لا يُشبع القلب، بل يزيده جوعًا.

الفرح في القرآن ليس ممنوعًا، لكنَّه مشروط بالاعتدال والإحسان. هو فرح يحمل في داخله معنى العبوديَّة لله؛ لأن الفرح الحقيقي هو الذي يبدأ بالشكر وينتهي بالقناعة. وبين الفرح المشروع والفرح المذموم، يرسم القرآن للإنسان طريقًا وسطًا يجمع بين الابتهاج بنعم الله، والوعي بمصدرها، والمسؤوليَّة في التَّصرف بها.

ثَانِيًا: الحُزنُ في القُرآنِ.. شُعورٌ مشروعٌ بشرطِ ألَّا يسرق الحَياةَ

الحزن، في جوهره الإيماني، ليس مجرد انفعال عابر، بل هو محطة تأمُّل تُذكّر الإنسان بحقائق الوجود: بأنَّ الدنيا دار فناء، وبأن الآخرة هي المستقر. إنَّه شعور يوقظ القلب من غفلته، ويعيد إلى النفس وعيها بقصر العمر وهشاشة الحياة. لكن هذا الحزن، الذي كان يجب أن يكون بابًا للزهد والتَّفكر، تحوَّل في كثير من الممارسات الخاطئة إلى مظهر من مظاهر البذخ والتباهي، حتى باتت مراسم العزاء، والدفن، وبناء القبور مناسبات للإسراف الذي يناقض جوهر الحزن ويُفرغه من معناه الروحي.

١. الحُزن في القُرآن: مِن التَّذكرةِ إلى الغَفلة؟

يُعلّمنا القرآن أنَّ الحزنَ، حين يكون مُتَّصلاً بالآخرة، يصبح موعظة تُهذّب النفس وتذكّرها بمآلها. يقول تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٨٥].

إنَّ الحزن الذي يولد من هذه الحقيقة يكون حزنًا باعثًا على الزهد؛ لأنه يذكّر الإنسان بأن كل متاع زائل، وأن الكفن لا جيوب له. لكن حين يتحول الحزن إلى سباق في الإنفاق المُفرط، ومواضع للتفاخر بالمراسم والمظاهر، فإنه يضيع رسالته الأساسية.

٢. الحُزنُ في مَدرسة كَربلاء: المَعنَى مُقَابِل المَظهَر

إذا كانت كربلاء هي أعمق تجسيد للحزن في التُّراث الشيعي، فإنَّها أيضًا النموذج الأسمى للزهد في لحظات الألم. الإمام الحسين عليه السلام وهو في أوج المصيبة لم يكن قلبه مشغولاً إلَّا بملاقاة الله، ولم تكن نظرته للحياة إلا نظر الزاهد الذي يعلم أن كل شيء إلى زوال. حين سقط رضيعه عبد الله بين يديه مضرجًا بدمه، قال: «هوّن عليّ ما نزل بي أنّه بعين الله»[1]. هذا هو الحزن الذي يحمل في داخله معنى التسليم والفناء في الله، حزن ينقل الإنسان من الدنيا إلى الآخرة، ومن التعلق

---

١ - علي بن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف، ص٦٨.

بالظَّاهر إلى جوهرِ المَعنى.

لكن، كم نحن بعيدون عن هذه الروح اليوم؟ لقد تحوَّل كثير من إحياء الحُزن الحُسيني إلى مظاهر مبالغ فيها، من مراسم فخمة، ومواكب ضخمة، وإسراف في الولائم، حتى صار العزاء نفسه مجالاً للمفاخرة الاجتماعيَّة، وتحوَّلت قِيَمُ كربلاء من رمز للزهد إلى مشهد للبذخ.

٣. التَّبذِيرُ فِي الحُزن: حين تَفقدُ المَوعظَةُ مَعنَاها

كما حذَّر القرآن من التبذير في الأفراح، فإنَّه يُحذر من التبذير في كل وجوه الحياة، بما فيها الحزن. يقول تعالى: ﴿**وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا۝ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ**﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧].

التبذير في الحزن أكثر عبثيَّة من التبذير في الفرح؛ لأنَّه يضيّع الغاية من الحزن ذاته، حيثُ يفترض أن يكون العزاء تذكيراً بزوال الدنيا، فإذا به يتحوَّل إلى استعراض للثَّراء.

صور التبذير في الحزن المعاصر:

أ. **التبذير في مراسم العزاء:** حيثُ تُنفق أموال طائلة على خيم ضخمة، وضيافات فاخرة، بينما يُنسى جوهر العزاء كذكرى للآخرة ودعاء للميت.

ب. **التَّبذير في الدَّفن والقبور:** حين تصبح القبور معالم فخمة من

الرخام والزينة، وكأنَّها قصور لمن انتقل إلى دار لا يحتاج فيها إلَّا للعمل الصالح.

ج. **التَّبذيرُ في المراسم المتُكررة:** حيثُ يتحوَّل الحزنُ إلى طقس اجتماعيّ مُكلف بدل أن يكون مساحةً للتَّأمُّل والاعتبار.

٤. الحُزن عَلى الإمام الحُسين عليه السلام: عَبرةٌ لا بذخ

يعلّمنا أهل البيت عليهم السلام كيف نحزن، فجعلوا من حُزنهم على الحُسين عليه السلام مدرسة للمعنى لا للمظهر. كان الإمام الصادق عليه السلام يبكي مصابَ جده الحسين عليه السلام حتى يبتلَّ وجهه بالدموع، وقال: "من أنشد في الحسين بيت شعر فبكى وأبكى عشرة فله ولهم الجنة، ومن أنشد في الحسين بيتا فبكى وأبكى تسعة فله ولهم الجنة، فلم يزل حتى قال: من أنشد في الحسين بيتا فبكى، وأظنه قال: أو تباكى- فله الجنة"[1]. هنا الحزن مرتبط بالدمعة لا بالبذخ، وبحرارة القلب لا بفخامة القاعات.

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام: عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: سمعت أبا الحسن الرضا علي عليه السلام يقول: "رحم الله عبدًا أحيا أمرنا. فقلت له: فكيف يحيي أمركم قال: يتعلم علومنا ويعلمها

---

١ - جعفر بن محمد بن قولويه: كامل الزيارات، ص٢١١.

الناس فإنَّ النَّاس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا"[١].

لكنَّ إحياء أمرهم ﷺ لا يكون بالتَّفاخر في المراسم، بل بإحياء قيمهم: الصبر، الزهد، والإيثار.

٥. حِين يُصبحُ الحُزن تِجارةً واستعراضًا

لقد تسللت إلى الحزن العدوى نفسها التي أصابت الفرح: عدوى الاستهلاك والاستعراض الاجتماعي. بعض المجالس الحسينيَّة تحوَّلت إلى سباق في من يقدّم أكبر الولائم، وبعض الجنائز تحوّلت إلى تظاهرات في الإنفاق بدل أن تكون موضعًا للتذكير بقصر الحياة.

هذه الممارسات، إضافة إلى بعدها عن روح القرآن، تسهم في تشويه جوهر الحزن الحسيني؛ لأنَّ من يرى هذه المظاهر لا يعود يرى في الحسين ﷺ رمز الزُّهد، بل يرى فيه مناسبة اجتماعية للإنفاق المفرط.

٦. موقف أهل البيت ﷺ من البذخ في الحزن والموت

لم يحارب أهل البيت ﷺ مظاهر البذخ في الحزن فحسب، بل حاربوا حتى الإسراف في الموت نفسه، لأنهم رأوا أن القبر هو بيت الفناء، وأن التَّكريم الحقيقي للميت يكون بالدعاء والصدقة، لا بالفخامة الظاهرة.

---

١ - محمد بن علي بن بابويه: معاني الأخبار، ص١٨٠.

يروى عن الإمام علي عليه السلام أنَّه أوصى عند وفاته بأن يكون قبره بسيطًا بلا تزيين أو ترف، لأن الموت هو درس في الزهد وليس في التفاخر.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إن للقبر كلامًا في كل يوم يقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود، أنا القبر، أنا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»[1].

ما قيمة القبور المزينة بالرخام والذهب إذا كان القلب خاويًا من الإيمان؟ وما نفع المراسم الفخمة إذا كانت الأرواح فارغة من العبرة؟

الحزن في القرآن وفي تراث أهل البيت عليهم السلام هو تذكير بالآخرة، وهو شعور يسمو بالنفس ويهذبها، لكن حين يتحول إلى ميدان للبذخ والتبذير، يفقد معناه، ويصبح استعراضًا أجوف يناقض جوهره الروحي. وكربلاء، بما فيها من ألم ودموع، كانت درسًا في الزهد والبساطة، لا في الفخامة والاستعراض. ولهذا، فإن إحياء الحزن على الإمام الحسين عليه السلام يجب أن يكون بإحياء قيمه، لا بمظاهر تخالف روحه.

ثالثا: التَّوازنُ بين الحزن والفرح.. ميزانُ الإيمانِ في المشاعرِ الإنسانيَّة

الحياة الإنسانية هي مسرح تتناوب فيه مشاعر الحزن والفَرح، مثل

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٣، ص٢٤٢.

شروق الشمس وغروبها، وكأنَّ الله أراد أن يعلم الإنسان أن لا فرح يدوم، ولا حزن يبقى، وأنَّ الحكمة ليست في إنكار أي منهما، بل في إيجاد التوازن بينهما. هذا التوازن هو علامة نضج روحي، لأنَّ القلب الذي يعرف كيف يحزن بخشوع، ويفرح بشكر، هو قلب عرف طريقه إلى الله. القرآن، في منهجه المتكامل، وأهل البيت عليهم السلام في سيرتهم، يُقدّمون لنا هذا الميزان، حيث لا طغيان للحزن الذي يسرق الحياة، ولا غفلة في الفرح الذي يُبدّد المعنى.

١.التَّوازنُ بين الحُزنِ والفرحِ في القُرآنِ.. قاعدةٌ إيمانيَّةٌ راسخةٌ

يرفض القرآن التطرف في المشاعر، سواء أكان انغماسًا كاملاً في الحزن أم انغماسًا مفرطًا في الفرح. يقول -تعالى-: ﴿**لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ**﴾ [الحديد: ٢٣]. هذه الآية تضع قانونًا نفسيًّا عميقًا: لا تجعل الحزن على ما فاتك يستهلكك، ولا تجعل الفرح بما أتاك ينسيك أن كل شيء من الله. إنَّها دعوة إلى قلب متوازن، يحزن دون يأس، ويفرح دون غرور.

هذا التَّوازن لا يعني أن يكون الإنسان باردًا أو عديم الإحساس، بل أن تكون مشاعره منضبطة بميزان الإيمان، فالحزن مقبول ما دام يقود إلى الصبر، والفرح محمود ما دام يقود إلى الشُّكر.

٢. التَّوازن في مدرسةِ أهلِ البيت عليهم السلام.. نموذج الحُسين وزينب عليهما السلام

جسّد أهل البيت عليهم السلام أروع صور التوازن بين الحزن والفرح، فهم أشد الناس حزنًا على الحق المسلوب، لكنهم أيضًا أكثر الناس رضا بقضاء الله. في كربلاء، رأينا كيف امتزج الحزن بالصبر، والألم بالرضا، حتى أصبح الحزن نفسه طريقًا إلى الله.

أ- الحُسين عليه السلام: فَرحُ الشهادة في قلبِ الحُزن

حين وقف الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، كان قلبه يقطر حُزنًا على أصحابه وأهله، لكنه كان في الوقت ذاته مستبشرًا بلقاء الله، حتى نقل عن أحد رواة معركة الطف(حميد بن مسلم)، قوله في وصف سيد الشهداء عليه السلام وقت نزوله الميدان بعد استشهاد جميع ولده وأخوته وأصحابه: «فوالله ما رأيت مكثورا قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشا ولا أمضى جنانا منه [عليه السلام][1]»، هنا يبلغ التوازن ذروته: جسد في الحزن، وروح في الفرح، لأن عين الحسين عليه السلام كانت على الشهادة لا على الفقد، وعلى رضا الله لا على ألم الجراح.

ب - زينب عليها السلام: حين يتحوَّل الحُزن إلى جمال روحي

أمَّا السيدةُ زينب عليها السلام، فقد كانت نَموذجًا للحزن المُتوازن الذي لا يكسر الروح، بل يسمو بها. حين وقفت في مجلس يزيد، وسط

---

١ - محمد بن محمد (الشيخ المفيد): الإرشاد، ج٢، ص١١١.

الحزن الذي لا يُطيقه بشر، قالت قولتها الخالدة: «ما رأيتُ إلا جميلاً» [١]. أي جمال هذا الذي تراه زينب وسط القتل والسَّبي؟ إنَّه جمال الرضا بقضاء الله، وجمال رؤية الفرح الأبدي خلف حجاب الحُزن العَابر.

٣. مَتى يَختل التَّوازُن بين الحزن والفرح؟

يُحذّر القُرآن وأهل البيت عليهم السلام من أن يتحوَّل الحزن أو الفرح إلى حالةٍ مُتطرفة تفقد الإنسان توازنه الروحي:

- حين يصبح الحزن يأسًا: يفقد الإنسان ثقته برحمة الله، ويقع في القنوط، وهو ما نهى عنه الله بقوله: ﴿**وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ**﴾[يوسف: ٨٧].
- حين يصبح الفرح طغيانًا: يتحوَّل الإنسان إلى متكبّر ينسى الله، كما قال تعالى عن فرح قارون: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**﴾ [القصص: ٧٦].

ففي الحزن: يكون الميزان هو الصبر. وفي الفرح: يكون الميزان هو الشُّكر.

٤. رواياتُ أهلِ البَيتِ عليهم السلام في تحقيقِ التَّوازنِ بين المشاعر

١ - علي بن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف، ص٩٤.

أهل البيت (عليهم السلام) اختصروا فلسفة التوازن في كلماتهم الحكيمة؛ حيثُ يقول الإمام الكاظم (عليه السلام) «وخير الأمور أوسطها»[١]. هذا يشمل كل شيء، حتى المشاعر: لا حزن يطغى، ولا فرح يفلت من زمام العقل. ونقل عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: "عجبت للمرء المسلم لا يقضي الله عز وجل له قضاء إلا كان خيرا له، وإن قرض بالمقاريض كان خيرا له، وإن ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيرا له" [٢] . هنا، يظهر التوازن جليًا: المؤمن يعيش بين جناحي الصبر والشكر، فيحلق بروحه إلى الله.

٥. الحزن والفرح في المناسبات الدينية.. كيف نَفقد التَّوازُنَ؟

من المفارقات المؤلمة أننا، في عصرنا، فقدنا التوازن حتى في التعبير عن الحزن والفرح الدينيين.

أ - الحُزنُ المُبالغ فيه في العزاءِ:

تحولت بعض مراسم العزاء الحسيني إلى مظاهر للبذخ والتفاخر، حتى صار العزاء نفسه نوعًا من التباهي الاجتماعي، وهو ما أفرغ الحزن من روحه. فأصبح بعضنا يقيس العزاء بحجم الخيام وضخامة الولائم، مع أنَّ الحسين (عليه السلام) مات جائعًا عطشانًا.

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٦، ص٥٤١.
٢ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص٦٢.

ب - الفَرح المفُرط في الأعيادِ والمناسباتِ الدينيَّة:

تحوَّلت بعض المناسبات الدينيَّة إلى حفلات صاخبة مليئةٍ بالإسراف، بدل أن تكون لحظات فرح مشبع بالمعنى الروحي. وفقدنا روح الاعتدال التي تجعل العيد فرحًا إيمانيًّا، وتحوَّل إلى مهرجان للاستهلاك.

٦. كيف نُحقق التَّوازنَ بين الحزنِ والفرحِ في حياتِنا؟.. دُروسٌ من القُرآن وأهلِ البيتِ عليهم السلام

أ - استحضار الغايةِ من الحُزنِ والفرحِ:

- الحُزنُ يجب أن يقودَ إلى التأمُّل والعَبرة.
- الفَرحُ يَجب أن يقودَ إلى الشُّكر والعمل الصالح.

ب - الصَّبر في الحُزن والشُّكر في الفرحِ:

- يقول الإمام علي عليه السلام:" الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد"[1].
- ويقول -تعالى- في الفرح: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

ج - ربطُ الحُزنِ والفَرحِ بالله:

- في الحزن والبلوى: أشكو إلى الله كما فعل يعقوب عليه السلام؛ ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص٨٩.

- في الفرح والنعمة: أحمد الله وأشكره، فعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: "تلقوا النعم بحسن مجاورتها ... فإنكم إذا كنتم كذلك استوجبتم من الله (تعالى) الزيادة ... ثم تلا: ﴿**لئن شكرتم لأزيدنكم**﴾".[١]

فالتَّوازن بين الحُزن والفرح هو فنٌّ روحيٌّ يصنعه الإيمان. ليس المطلوب أن لا نحزن أو لا نفرح، بل أن نحزن بحكمةٍ ونفرح بعقلٍ. التَّوازن هو أن نبكي على الحسين عليه السلام بدموعٍ صادقةٍ، لكن لا نجعل عزاءه ميدانًا للبذخ، وأن نفرح بالعيد بقلوب مملوءة بالشكر، لكن لا نجعل أعيادنا مواسم للإسراف. علمنا أهل البيت عليهم السلام هذا الميزان، وجعلوا من كربلاء درسًا خالدًا: حيثُ الحزن في ذروته، لكنَّه حزنٌ يصنع الحياة، وحيثُ الفرح في باطن الألم، لكنَّه فرحٌ بالشهادة ورضا الله.

رَابعًا: آثارُ التَّوازن بين الحُزنِ والفرحِ على النَّفسِ والمُجتمعِ

إنَّ التَّوازن بين الحزن والفرح ليس مجرد حالة شعوريَّةٍ فرديَّةٍ، بل هو ميزان يصنع شخصيَّةً مُتزنة، وينعكس أثره على المُجتمع بأكمله. فالفرد الذي يتعلَّم كيف يحزن بحِكمةٍ، ويفرح باعتدالٍ، يُساهم في بناء مجتمع متماسك يعرف كيف يتعامل مع الأفراح والأتراح بروح إيجابيَّةٍ

١- محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص٣٠٢.

وإيمانيَّة. هذا التَّوازن هو ثمرةُ منهجٍ قرآنيّ عميقٍ، وتجربةٍ معاشةٍ في مدرسة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾، حيثُ نجد الحُزن يحمل في طياتِه الصَّبر والمعنى، والفرح يحمل في جوهره الشُّكر والعطاء.

١ - أثَر التَّوازنِ بين الحُزنِ والفرحِ على النَّفسِ.. صِناعةُ الرُّوحِ القويَّةِ

أ - تَحريرُ النَّفس من عُبوديَّةِ المشاعر المُتطرفةِ

إنَّ الإنسان الذي يطغى عليه الحُزن يُصبح أسيراً لليأس، ومن يسيطر عليه الفرح يصبح عبدًا للهوى. القرآن وأهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ يعلّموننا أن تحرير النفس لا يكون بإنكار المشاعر، بل بتهذيبها. يقول الإمام علي ﴿عليه السلام﴾: "لا تكن عبدَ غيرك وقد جعلك الله حرًّا» [1]، وعبد المشاعر من فقد توازنه، فجعل من حزنه قبراً ومن فرحه لهوًا. ويقول تعالى: ﴿**لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ**﴾ [الحديد: ٢٣]. هذه الآية تضع أساس التَّوازن: حزن بلا يأس، وفرح بلا غرور.

ب - تكوين نفسٍ صبورةٍ في الحُزن وشاكرةٍ في الفَرحِ

النَّفس المتوازنة هي التي تعرف كيف تحوّل الحزنَ إلى صبر، والفرحَ إلى شكرٍ. هذا التَّوازن هو سر الطُمأنينة التي وصفها القرآن بقوله: ﴿**أَلَا**

---

١ - الشريف الرضي: نهج البلاغة، ج٣، ص٥١.

بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. يقول الإمام الصادق ﵇: « أنَّ فيما أوحى الله عز وجل إلى موسى بن عمران ﵇: يا موسى بن عمران: ما خلقت خلقًا أحب إلي من عبدي المؤمن فإنيَّ إنَّما أبتليه لما هو خير له وأعافيه لما هو خير له وأزوي عنه ما هو شر له لما هو خير له وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي، فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرض بقضائي، أكتبه في الصديقين عندي، إذا عمل برضائي وأطاع أمري»[1]. هذه هي النَّفس التي لا تكسرها المصائب ولا تطغيها النعم.

ج - الارتِقاءُ الرُّوحِي من خِلالِ توازُن المَشاعِر

الحُزن الصَّادق يقود إلى التَّوبة، والفرح النَّقي يقود إلى الامتنان. كلاهما حين يتوازنان، يُصبحان طريقًا إلى الله. كان أهل البيت ﵍ في قمَّة الحُزن يوم عاشوراء، لكنَّهم كانوا في قمَّة القُرب من الله أيضًا، لأنَّ حزنَهم كان مليئًا بالمعنى، وفرحهم كان فرحًا بالشهادة والرضا الإلهي.

٢. أَثرُ التَّوازنِ بين الحُزنِ والفَرحِ على المُجتمعِ.. بِناءُ مُجتمعٍ مُتماسِك وروحِيّ

أَ - مُجتمعٌ يعرفُ كيف يُواسي في الحُزن ويُشاركُ في الفَرحِ

إنَّ المُجتمع الذي يتوازن فيه الحزن والفرح هو مجتمعٌ

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص٦١.

يتشارك في الألم كما يتشارك في الفرح. أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ علَّمونا أنَّ الحزن لا يكون انعزالاً، بل مشاركة وجدانيَّة، وأنَّ الفرح لا يكون أنانيَّةً، بل احتفالاً جماعيًّا. قال أبو عبد الله الصادق ﴿عليه السلام﴾: "إنَّما المؤمنون إخوة بنو أب وأم وإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون"[١].

هذا هو التوازن الاجتماعي: نبكي معًا ونفرح معًا.

ب - مُجتمعٌ متوازنٌ بين مظاهر الحُزنِ والفَرحِ.. نَقدٌ للمُمارسَاتِ الخَاطئَةِ

حين يفقد المجتمع توازنه بين الحزن والفرح، تظهر مظاهر خاطئة تهدم المعنى الحقيقي لكلا الشعورين:

- **التَّبذيرُ في الأفراح:** حيثُ تتحوَّل الأعراس والأعياد إلى مظاهر للتفاخر والاستهلاك، بينما يُنسى المحتاجون والمحرومون.
- **التَّبذيرُ في الأحزَانِ:** كما رأينا في مُبالغة البعض في مراسم العزاء، والإنفاق المُفرط على القبور والمواكب، حتى صار الحزن نفسُه ميدانًا للاستعراض الاجتماعي بدل أن يكونَ مساحةً للتَّأمُّل والعَبرةِ.

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص١٦٥.

ج - مَوقفُ أَهلِ البيتِ (عليهم السلام) من هذه المَظاهِر:

عن الإمام علي (عليه السلام): " تَرْكُ التَّقديرِ في المَعيشَةِ يُورِثُ الفَقرَ"(١).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) نقلاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: "من اقتصد في معيشته رزقه الله ومن بذَّر حرمه الله"(٢).

د - مُجتمعٌ يصنعُ من الحُزن طاقةً للعمل ومن الفَرحِ دافعًا للعطاء

إنَّ التَّوازن بين الحُزنِ والفَرحِ يجعلُ المُجتمع نشيطًا ومنتجًا، لأنَّ الحُزن يجعله متواضعًا ومتأمّلاً، والفرح يجعله ممتنًّا وسخيًّا.

- **في الحزن:** يتحوَّل الألم إلى دافع للوقوف مع المظلومين، كما نفعل في إحياء ذكرى كربلاء، حيثُ الحزن على الإمام الحسين زيصبح مدرسةً للأحرار.
- **في الفَرحِ:** يتحوَّل الشُّكر إلى مبادرات خيريَّة، كما في الأعياد التي علَّمنا أهل البيت (عليهم السلام) أن نجعلَها مواسم للعطاء.

٣. التَّوازنُ بين الحُزنِ والفَرحِ في المُناسباتِ الدِّينيَّة.. نَموذَج إسلامِيٌّ فَريدٌ

إنَّ المُناسبات الدينية عند أهل البيت (عليهم السلام) هي نموذج للتَّوازن بين الحُزن والفرح:

---

١ - محمد بن علي القمي: الخصال، ص٥٠٤.

٢ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٤، ص٥٤.

- **الأعيادُ الإسلاميَّة:** رغم أنَّها مواسم فرح، إلَّا أنَّها تبدأ بالصَّلاة والدُّعاء والصَّدقة، حتى يبقى الفرح متَّصلاً بالله.
- **عاشوراء:** رغم أنَّها موسم حزن، إلَّا أنَّها مليئةٌ بمعاني الأمل والصَّبر والانتصار المعنوي، حتى لا يتحول الحُزن إلى يأس.
- التَّوازن بين الحُزنِ والفَرحِ يصنعُ نفسًا قويَّةً لا تكسرها المصائبُ ولا تطغيها النعمُ.
- المُجتمع المتوازن هو الذي يتشارك الحزن بمودةٍ والفرح بمحبَّةٍ.
- الإفراط في الحزن أو الفرح، سواء بالتَّبذير أو بالمظاهر الفارغة، يُفرّغ المشاعر من معانيها الحقيقيَّة.
- أهل البيت ﵈ هم النَموذج الأسمى لهذا التَّوازن، فقد جعلوا من الحُزن بابًا للصَّبر، ومن الفرح ميدانًا للشُّكر.

خَامسًا: الحُزنُ والفَرحُ كطريقين للتَّكامُل الرُّوحي.. كيف يَصنعُ التَّوازنُ إنسانًا أَفضَل؟

إنَّ النَّفس البشريَّة لا تبلغ نضجها الحقيقي إلَّا عندما تمرُّ بتجارب مُتباينة من الحزن والفرح. فالمشاعر ليست مجرد حالات عاطفيَّة عابرة، بل هي أدوات تربويَّة تصقل الروح وتبني الشخصيَّة. في ضوء القرآن الكريم وتعاليم أهل البيت ﵈، نجد أنَّ الحُزن والفرح يُشكلان معًا طريقًا للتَّكامل الرُّوحي، حيثُ يُخرج الحزنُ الإنسانَ من غفلته،

ويجعل الفرحُ قلبه يفيض شكرًا وامتنانًا. التَّوازن بين هذين الشعورين هو الذي يصنع إنسانًا أفضل، أكثر وعيًا بذاته، وأقرب إلى الله، وأقدر على أداء دوره في الحياة.

١. الحُزنُ والفَرحُ كمحطاتٍ للتَّطهيرِ الدَّاخِلي

إنَّ الحُزنُ في القرآن ليس نهايةً، بل هو بدايةٌ جديدةٌ. عندما يحزن الإنسان على ذنب ارتكبه، أو مصيبةً ألمَّت به، فإنَّ قلبه يُصبح أكثر استعدادًا للتَّوبة والرجوع إلى الله. يقول -تعالى-:
﴿**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ**﴾ [يوسف: ٨٦]. هنا نجد أنَّ الحُزنَ الذي يُوجه إلى الله يتحوَّل إلى طاقة رُّوحيَّة تطهر القلب من الغفلة.

أمَّا الفرح فهو أيضًا تجربة تطهير؛ لأنَّه يُدرب النَّفس على الشُّكر والتَّواضع. يقول تعالى:﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [إبراهيم: ٧]. الفرح الذي يقود إلى الشُّكر هو فرحٌ ناضجٌ، لأنَّ القلبَ حين يفرح بنعمةِ الله دون أن ينسى المُنعم، يتطهر من الكِبر والغرور.

٢. التَّوازنُ الذي يصنعُ القلبَ السَّليم

إنَّ القلب السليم، كما يقدمه القرآن، هو الذي لا يطغى عليه الحزن حتى يُقعده، ولا يغمره الفرح حتى يُغفله، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام

أنَّه قال: «اعلم أنَّ النَّاس ثلاثة: زاهدٌ وصابرٌ وراغبٌ فأمَّا الزاهد فقد خرجت الأحزان والأفراح من قلبه فلا يفرح بشيء من الدنيا و لا يأسى على شيء منها فاته، فهو مستريح وأمَّا الصَّابر فإنَّه يتمناها بقلبه فإذا نال منها ألجم نفسه عنها لسوء عاقبتها وشنآنها، لو اطلعت على قلبه عجبت من عفته وتواضعه وحزمه وأمَّا الرَّاغب فلا يُبالي من أين جاءته الدنيا من حلها أو [من] حرامها ولا يبالي ما دنَّس فيها عرضه وأهلك نفسه وأذهب مروءته، فهم في غمرة يضطربون»[١] .

إنها وصفة واضحة: الفرح بوابة الشكر، والحزن بوابة الصَّبر، وبينهما يصنع الإنسان قلبًا متوازنًا لا يتأرجح مع أمواج الدنيا.

٣. الحُزن والفَرحُ كدروسٍ في الإدراكِ العَميقِ للحياةِ

لا تُفهم الحياة الحقيقيَّة من خلال لحظات الفرح وحدها، ولا عبر دروب الحزن فقط. الإنسان الناضجُ هو الذي يرى في كل لحظةٍ، سواء أكانت حزينة أم سعيدة، درسًا يقوده إلى معرفة أعمق بالوجود.

- **الحُزن يعلّم الإنسانَ حدودَ قُوَّتِهِ:**

في لحظات الحزن، يدرك الإنسان هشاشته وضعفه، فيتَّجه بقلبه إلى الله. يقول -تعالى-:

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص٤٥٦.

﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]. الحزن هنا ليس إذلالاً، بل اعترافًا بحقيقة الضَّعف الإنساني الذي لا يُتجاوز إلا بالعلاقة مع الله.

■ **الفَرحُ يكشف مَسؤوليَّة النعمة:**

في لحظات الفرح، يُختبر الإنسان في كيفية التعامل مع النعمة. الإمام الصادق ﵇ يقول: "مكتوب في التَّوراة اشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك، فإنَّه لا زوال للنعماء إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت، الشُّكر زيادة في النعم وأمان من الغير"[1]. فالنعمة هنا مسؤوليَّة، لأنَّها تحمل في طياتها اختبارًا خفيًّا: هل سيكون الإنسان عبدًا للنعمة أم للمنعم؟

٤. التَّوازنُ الذي يصنعُ إرادةً قَويَّةً

إنَّ الإنسان المتوازن بين الحزن والفرح هو إنسانٌ يملك إرادةً لا تكسرها الأزمات، ولا تُفسدها النعم. الإمام الحسين ﵇ كان في قمَّة الحزن يوم عاشوراء، لكنَّه لم يُظهر ضعفًا أو تراجعًا؛ كان حزنه الممزوج بالرضا والإرادة الحديديَّة درسًا في كيفيَّة تحويل الألم إلى قوة.

كذلك كانت السيدة زينب ﵍ رمزًا للتوازن، إذ وقفت أمام يزيد في أوج المأساة، وقالت بثبات وإيمان:

---

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص٩٤.

«ما رأيتُ إلا جميلاً»[١]. إنّه جمال الرُّؤية العميقةِ للحياةِ والموت، حيثُ الحزن العميق لم يمنعها من رؤية يد الله خلف كل ما حدث.

٥. كيف يَصنعُ التَّوازنُ بين الحُزنِ والفَرحِ إنسانًا أفضل؟

أ - إِنسانٌ مُتحررٌ من التَّعلُّق بالدُّنياَ

يُذّكّر الحزن الإنسان بزوال الدنيا، والفرح يُدربه على التعامل مع النعمة دون التعلُّق بها. الجمع بين الاثنين يجعل الإنسان يعيش حرًّا من عبوديَّة الماديَّات.

ب - إنسانٌ يمتلكُ بوصلةً أخلاقيَّةً سليمةً

في الفرح، لا يتجاوز حدوده لأنَّه يعرف أنَّ النعمةَ زائلةٌ. في الحزن لا ينهار لأنَّه يدرك أنَّ الألم مؤقت. هذا الاتزان يجعله صاحب بوصلةٍ أخلاقيَّةٍ لا تضل.

ج. إنسانٌ مسؤولٌ في المُجتمعِ

إنَّ المجتمع بحاجة إلى أفراد يعرفون كيف يفرحون دون أن يغفلوا عن آلام الآخرين، وكيف يحزنون دون أن ينكفئوا على أنفسهم. الفرح الناضج يقود إلى العطاء، والحزن الناضج يقود إلى التعاطف والعمل الجماعي.

---

١ - علي بن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف، ص٩٤.

٦. التَّوازن في ضَوءِ كَربلاء.. الحُزنُ الذي يصنع أُممًا والفَرحُ الذي يبني حضارات

إنَّ كربلاء هي أعظم درس في كيفيَّة تحويل الحُزن إلى طاقة بنَّاءة. الحسين عليه السلام علَّمنا أنَّ الحُزن الحقيقي هو الحزن على المبادئ والقِيم عندما تُنتهك، وأنَّ الفَرحَ الحقيقيَّ هو الفرح بالنَّصر المعنوي ولو كان الثَّمن الشهادة.

- **الحُزن في كربلاء:** لم يكن حزنًا سلبيًّا، بل حُزنًا أثمر ثوراتٍ على الظُّلم في كل العصور.
- **الفَرحُ في كربلاء:** كان فرحًا بالشهادة وبالوفاء بالعهد الإلهي. فرحٌ يرى النَّصر في الهزيمة الماديَّة.

إنَّ التَّوازن بين الحُزن والفرح يصنع إنسانًا أقرب إلى الله، أكثر وعيًا بالحياة، وأقدر على التَّأثير الإيجابي في المُجتمع. الحزن الذي يقود إلى التأمل، والفرح الذي يقود إلى الشُّكر، يشكلان معًا رحلة روحية نحو الكمال الإنساني. لقد قدَّمت كربلاء النَموذج الأسمى لهذا التوازن: حزنًا يحفظ القيم، وفرحًا يليق بالشهادة. وبينهما يولد الإنسانُ الأفضل، الذي يعرف كيف يحيا في الدنيا بقلبٍ معلَّقٍ بالآخرة.

خاتمة

بعدَ هذه الرّحلة الطَّويلةِ في فضاءات القُرآن الكريم والروايات الشريفة عن أهل بيت العصمة ﷺ، والتي تلامس تفاصيل الحياةِ اليوميَّة، ومفاهيمها التي تُعيد تعريفَ الدّين في كُلّ حركةٍ وسُكون، يُصبح واضحًا أنَّ الدّين ليس فكرةً معزولةً في السَّماء، ولا مجرد طقوس تُؤدَّى بشكلٍ آليّ، بل هو خيطٌ مُتصلٌ يربط الرُّوح بالجسد، والقِيَم بالواقع، والعبادة بالسلوك. لقد حاول هذا الكتاب أن يستعيدَ للدّين مكانه الطبيعي في قلب اليوميَّات البسيطة، حيثُ يُصبح الصدقُ في الكلمة عبادة، والإتقان في العمل صلاة، والرحمة في الأُسرة صورة حيَّة للإيمان، والعدل في السوق والشارع آية تتجسد في الواقع. فالتَّديُّن الحقيقي ليس حالةً مؤقتةً تُعاش في المسجد، بل هو حياةٌ تُبنى على قِيم القرآن، وتتحركُ في تفاصيلها الروح الإيمانيَّة.

إنَّ الدّين الذي يتحدَّث عنه القرآن ليس حالةً طارئةً تقتحم حياةَ الإنسان في مواسم العبادات أو الأزمات، بل هو مشروع تربية للنَّفس، وبناء للعلاقات، وإصلاح للمُجتمع، وتوازن بين الرُّوح والجسد، بين الطموح والزهد، بين الفرح والحزن، وبين الحقوق والواجبات. وهو قبل ذلك كله، دعوة إلى أن يعيش الإنسان حياته كلها في ضوء كلمةٍ واحدة: "الإحسان"، أن يرى اللهَ في كلِّ موقفٍ، ويبحث عن رضاه في كُلّ فعلٍ، حتَّى في أصغر التفاصيل.

لَائِحَةُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ:

القرآن الكريم

أحمد بن خالد البرقي: المحاسن، تحـ. جلال الدين الحسيني، لا د، لا م، ١٣٧هـ، لا ط.

- محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٤هـ، ط١.
- الشريف الرضي: نهج البلاغة، شرح. محمد عبده، لا د، لا م، ١٤١٢هـ، ط١.
- جعفر بن محمد بن قولويه: كامل الزيارات، تحـ. جواد القيومي، لا د، لا م، ١٤١٧هـ، ط١.
- علي بن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف، لا د، لا م، ١٤١٧هـ، ط١.
- محمد بن الحسن الطوسي: تهذيب الأحكام، تحـ. حسن الموسوي الخرساني، لا د، ١٣٦٤هـ.ش، ط٣. -الحميري القمي: قرب الإسناد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٣ه، ط١.
- - محمد بن علي القمي (الشيخ الصدوق): الأمالي، مؤسسة

البعثة، قم، ١٤١٧هـ، ط١

- محمد بن علي القمي (الشيخ الصدوق): الخصال، تحـ. علي أكبر الغفاري، لا د، قم، ١٤٠٣هـ، لا ط.
- محمد بن علي القمي (الشيخ الصدوق): عيون أخبار الرضا عليه السلام، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٤ه/١٩٨٤م، لا ط.
- محمد بن علي القمي (الشيخ الصدوق): من لا يحضره الفقيه، تحـ. علي أكبر الغفاري، لا د، قم، لا ت، ط٢.
- - محمد بن علي القمي (الشيخ الصدوق: معاني الأخبار، ، تحـ. علي أكبر الغفاري، لا د، قم، ١٣٧٩هـ، لا ط.
- محمد بن محمد (الشيخ المفيد): الإرشاد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ط٢.
- محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، تحـ. علي أكبر الغفاري، لا د، قم، ١٣٦٣هـ.ش، ط٥.

الفهرس

المقدمة ٥

الفَصْلُ الأَوَّلُ: الدّينُ في بِنَاءِ الفَرِدِ المؤْمِنِ.. «الحَيَاةُ الفَرِدِيَّةُ» ٩

١١ | المَبحَثُ الأَوَّلُ: مَركَزِيَّةُ الدّينِ في حَيَاةِ الإِنسَان وَفقَ القُرآنِ الكَرِيمِ

١٦ | المَبحَثُ الثَّاني: الصّدقُ والأَمَانَةُ في الحَياةِ اليَوميَّة.. القِيَمُ الجَوهرِيَّةُ في ضَوءِ القُرآنِ الكَرِيمِ

١٩ | المَبحَثُ الثَّالثُ: الإِحسَانُ في ضَوءِ القُرآنِ الكَرِيمِ.. رُوح الحَيَاةِ اليَّوميَّةِ

٢٤ | المَبحَثُ الرَّابِعُ: الصَّبرُ في ضَوءِ القُرآنِ الكَرِيمِ.. فَنُّ الصُّمُودِ في رِحلَةِ الحَيَاةِ

٢٨ | المَبحَثُ الخَامِسُ: الشُّكرُ والامتِنانُ.. عِبَادَةُ القَلبِ في كُلّ لَحظَةٍ

٣٢ | المَبحَثُ السَّادِسُ: التَّفَاؤلُ والأَمَلُ.. رُؤيَةٌ قُرآنِيَّةٌ لِلحَيَاةِ الإِيجَابِيَّةِ

٣٦ | المَبحَثُ السَّابِعُ: الحِلْمُ وضَبطُ النَّفسِ.. قُوَّةُ العَقلِ أَمامَ الاستِفزَازِ

٤٠ | المَبحَثُ الثَّامِنُ: الحَيَاءُ.. زِينَةُ الأَخلَاقِ ورُوحُ الإِيمَانِ

الفَصلُ الثَّاني: الدِّينُ في بنَاءِ الأُسرَةِ وَالعَلَاقَاتِ العائِليَّةِ ٤٥

٤٧ | المَبحَثُ الأَوَّلُ: القُرآنُ وبِناءُ الأُسرَةِ وَفقَ المنهَجِ الإِلَهيّ

٥١ | المَبحَثُ الثَّاني: العَفوُ وَالتَّسامُح فِي ضَوءِ القُرآنِ الكَرِيمِ.. قُوَّةُ الرُّوحِ فِي مُوَاجَهَةِ الأَذى

٥٥ | المَبحَثُ الثَّالِثُ: الوَفَاءُ بالعَهدِ.. بِنَاءُ الثِّقةِ في العَلَاقاتِ الإِنسَانِيَّةِ

الفَصلُ الثَّالثُ: الدِّينُ فِي الحَيَاةِ المِهنِيَّةِ والمُجتَمَعِيَّةِ ٥٩

٦١ | المَبحَثُ الأَوَّلُ: العَملُ والإِنتَاجُ فِي ضَوءِ القُرآنِ الكَرِيمِ.. إِتقَانُ الحَياةِ عِبَادَةٌ

٦٥ | المَبحَثُ الثَّاني: الالتزامُ بالقَوانين والنِّظَامِ العَام في ضَوءِ القُرآنِ الكَرِيمِ.. طَاعَةٌ تَنبعُ مِن الإِيمَانِ

٧٠ | المَبحَثُ الثَّالثُ: الإِيثَارُ والتَّعاونُ.. رُوحُ الجمَاعَةِ فِي المُجتمعِ الإِيمانيّ

المَبحَثُ الرَّابعُ: حُسنُ الظَّنِ بالنَّاسِ..
بِناءُ الثِّقَةِ المُجتمَعيَّةِ وَفقَ القُرآنِ | ٧٤

الفَصلُ الرَّابعُ: الدّينُ فِي القِيَمِ الإِنسَانِيَّةِ والسُّلُوكِ العَام ٧٩

المَبحَثُ الأَوَّلُ: الدّينُ والسُّلوكُ العام..
آدابُ الطَّريقِ والحَياةِ المُجتَمعيَّةِ فِي ضَوءِ القُرآنِ الكَريمِ | ٨١

المَبحَثُ الثَّاني: النَّظَافَةُ والطَّهَارَةُ في الحَياةِ اليَومِيَّةِ..
رُؤيَةٌ قُرآنِيَّةٌ مُتكَامِلَة | ٨٥

المَبحَثُ الثَّالثُ: الحفَاظُ عَلَى البيئَة فِي ضَوءِ القُرآنِ الكَرِيمِ..
مَسؤُوليَّةُ الإِنسَانِ واستِخلافِهِ فِي الأَرضِ | ٩٠

المَبحَثُ الرَّابعُ: التَّواضُعُ فِي ضَوءِ القُرآنِ الكَرِيمِ..
جَوهَرُ العَظَمَةِ الإِنسَانِيَّةِ | ٩٤

المَبحَثُ الخَامسُ: العَدلُ والإِنصَافُ..
إِقَامَةُ مِيزَانِ الحَقِّ فِي الحَياةِ اليَومِيَّةِ | ٩٨

الفَصلُ الخَامسُ: الدّينُ وَتَنظِيمُ الحَياةِ العَمَليَّةِ واليَومِيَّةِ ١٠٣

المَبحَثُ الأَوَّلُ: الدّينُ والمَالُ.. القِيَمُ القُرآنِيَّةُ في التَّعامُلاتِ المَالِيَّةِ والمَعِيشة اليومِيَّة | ١٠٥

المَبحَثُ الثَّاني: نَزعَةُ الاستِهلاَكِ فِي ضَوءِ القُرآنِ.. بَينَ الحَاجَةِ والإِسرَافِ | ١١١

المَبحَثُ الثَّالثُ: الصّلةُ بَينَ الدّين والصّحة.. العِنايَةُ بالجَسَدِ والرُّوحِ وفقَ المِنهَجِ القُرآنيَّ | ١١٧

المَبحَثُ الرَّابعُ: إدارَةُ الوَقت في ضَوءِ القُرآنِ.. تَنظِيمُ الحَياةِ اليَومِيَّة بميزَانٍ إِيمَانِيّ | ١٢٢

المَبحَثُ الخَامسُ: الأَمانَةُ العلميَّةُ والإخلاصُ فِي طَلَبِ العِلمِ والعَملِ.. رُؤيَةٌ قُرآنيَّةٌ لِحياةِ المَعرِفةِ | ١٢٩

المَبحَثُ السَّادسُ: الرقَابَةُ الذَّاتيَّة.. الإِحسانُ في السرّ والعَلنِ وفقَ المَفهُومِ القُرآنِيّ | ١٣٥

١٤٠ | المَبحَثُ السَّابعُ: الدّين في الجَامعة..
القِيم القُرآنيَّةُ فَي طلبِ العِلمِ والعَلاَقَاتِ الجامعيَّةِ

١٤٦ | المَبحَثُ الثَّامنُ: الدّينُ والتَّرفيهُ..
ضَوابطُ المُتعَةِ والتَّسليةِ في ضَوءِ القُرآنِ الكَريمِ

١٥٢ | المَبحثُ التَّاسِعُ: الدّينُ فِي أَفرَاحِنا وأَحزَانِنا

١٨٤ | خاتمة

١٨٥ | لاَئِحَةُ المَصَادِر وَالمرَاجِع

مركز براثا للدراسات والبحوث

مركز بحثي مستقل غير ربحي، مقره في بيروت وبغداد. ويهدف لفتح المجالات العلمية والأكاديمية الواسعة، أمام الباحثين والمتخصصين؛ للقيام ببحوث تسعى إلى فهم واقع الإنسان والإنسانية، من خلال التركيز على دراسة الميادين الفلسفية، والاجتماعية، والإنسانية المتنوعة، التي تشكّل في مجموعها الحراك الاجتماعي والانساني الكبير الحاصل في العالم، وخصوصا في بلادنا العربية والإسلامية، ورصد الظواهر والتحديات الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية المختلفة، التي يمكن أن يواجهها الفرد والمجتمع، ومحاولة فهم ومدارسة الأسس الفلسفية والإجتماعية والدينية التأصيلية بموضوعية وجِدة؛ سعيًا للوصول إلى حلول لها؛ من أجل السمو بالإنسان وتقدّمه في أبعاده الإنسانية المختلفة.

مُلخَّص الكتاب

يُقدّم كتابُ «الدّين في حياتنا اليوميَّة» رؤيةً شــاملةً للدين كمِنهج حياةٍ متكامل يتغلغــلُ في تفاصيل الحياة اليوميَّة، بعيدًا عن اختزاله في الطقوس والشــعائر. يُناقــش الكتاب مركزيَّــةَ الدّين في حياة الفــرد، ويُبرز القِيَــم القرآنيَّة الجوهريَّة مثل: الصدق، الأمانة، الإحســان، الصبر والشكر. وكيف تنعكس هذه القِيم في الســلوك اليومي والعلاقات الاجتماعيَّة. كما يتناول دورَ الدّين في بناء الأُسرة، العلاقات العائليَّة والحيــاة المهنيَّة والمُجتمعيَّة، مؤكدًا على أنَّ الدّين الحقيقي يَتجلى في الالتزام بالسلوك القويم، الإتقان في العمل، العدل والتسامح، ليصبح الإنسان بذلك مرآةً تعكس القِيم الإلهيَّة في كل تفاصيل حياته.

- الدراسة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد